وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

مطبوعة دروس في مقياس

الحركة الفكرية في المغرب الأوسط

المستوى: ماستر2

التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

السداسي:الثالث.

الأستاذ: شريف عبد القادر.

السنة الدراسية: 2020-2021

محتوى المادة العلمية المقررة في المقياس

أولاً: الإرهاصات الأولية لمظاهر الحركة الفكرية في بلاد المغرب الأوسط.

ثانياً: عوامل نمو الحركة الفكرية في المغرب الوسط.

ثالثاً: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحياة الفكرية.

رابعاً: التيارات الفكرية في بلاد المغرب الأوسط.

خامساً: المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الأوسط.

سابعاً: العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الأوسط.

ثامناً: البيوتات العلمية في بلاد المغرب الأوسط.

تاسعاً: التواصل العلمي والثقافي داخليا وخارجيا.

المحاضرة الأولى:

الإرهاصات الأولية لمظاهر الحركة الفكرية في المغرب الأوسط.

عناصر المحاضرة:

مقدمة

1- التطور السياسي للمغرب الأوسط.

أ-التحديد الجغرافي.

ب-الإطار السياسي.

2-مظاهر بوادر الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط

أ-تعريف الثقافة:

***-لغة.**

***-اصطلاحا.**

مقدمة:

إن العصر الذهبي لإيناع العلوم بالمغرب الأوسط هو العصر الذي يبتدئ من أوائل القرن الثاني الهجري،ويستمر حتى أوائل القرن السادس الهجري،فقد عرفت هذه الفترة نهضة حقيقية على المستوى الفكري تجلت أساسا في تقدم العلوم وظهور جيل من فطاحل العلماء كان لهم دور كبير في ازدهار الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط وتطورها.

فالثقافة الإسلامية دخلت بلاد المغرب يوم أن فتحها المسلمون،وجاءوا من المشرق بكتاب جامع لكل مظاهر الحياة السياسية ،والاقتصادية ،والاجتماعية ،والثقافية،واستقبله أهل المغرب. وقد تأثر بالاتجاهات العلمية والفكرية والمذهبية المختلفة،مما ساهم في ازدهار العلوم والمعارف ،خاصة بعد إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية،وظهور علماء ساهموا في الرفع من المستوى الثقافي والعلمي.

إن التنافس العلمي بين الدويلات الإسلامية التي تأسست في بلاد المغرب ،أفرز تنوعا ثقافيا علميا بين مختلف مذاهبه ،وفسح المجال للجدال والمناظرة وهو نوع من الانفتاح الفكري في المنطقة ،خاصة بعد احتضان الخلفاء والسلاطين لهذا المناخ العلمي من خلال تشجيع المجالس وحضور الندوات ومنح الأعطيات والهدايا والأموال،مع إنشاء المكتبات وتشجيع شراء الكتب ونسخها.كل هذا أدى إلى تنوع مجالات الفكر والعلوم سواء العلوم النقلية أو العقلية،وفي المقابل أنجبت المنطقة عديد العلماء والأدباء والأطباء والفقهاء ،أناروا المنطقة داخليا وأثروا في المناطق المجاورة بفضل الرحلات العلمية في إطار التواصل الثقافي والعلمي.

أولا"-الإرهاصات الأولية لمظاهر الحركة الفكرية في المغرب الأوسط:

1-التطور السياسي للمغرب الأوسط:

أ-التحديد الجغرافي:

تشمل بلاد المغرب الأوسط منطقة جغرافية ،اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها ،خاصة الشرقية منها،فقد كان نهر ملوية يمثل الحد الطبيعي الغربي الذي يفصلها عن بلاد المغرب الأقصى[1] ،فيحين يشير ابن خلدون إلى حدودها الشرقية ،فيذكر تارة أنها تبدأ من بونة باتجاه الجنوب إلى الأربس فالأوراس فتبسة .ويذكر تارة أخرى أن المغرب الأوسط يجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية ومايليها إلى بجاية وهو يعني بهذا أن نهر الشلف هو الحد الشرقي لبلاد المغرب الأوسط [22]،مثلما ذهب إليه بعض المؤرخين ،ويرى آخرون أن الحد الشرقي عبارة عن خط وهمي يبدأ من بجاية بإتجاه الجنوب مع العلم أن الحدود في هذه الفترة لم تكن واضحة ومستقرة ومعلومة.[3]

ب-الإطار السياسي:

بدأت بوادر تشكل الحدود السياسية للمغرب الأوسط عبر عدة مراحل ،في كل مرحلة تظهر أبعاده الحقيقية،والتي تعكس البنية والتركيبة الاجتماعية والثقافية له ومن ذلك:

-الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط وتمثلت في محاولات عقبة وأبي المهاجر وترسمت مع حسان بن النعمان (50هـ-87هـ).

-خلال القرن الثاني الهجري بدأ المغرب الأوسط يعرف وصول كيانات سياسية أهمها:

---

[1] ابن خلدون،**تاريخ ابن خلدون،المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومنعاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،تح ،خليل شحاذة،مراجعة سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،2000،ج.4،ص236.

[2] نفسه،ص237.[2]

[3]المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، خليل عمران المنصور،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،1998،ط.1،ص248.

*إمارة إدريس الثاني 172هـ-311هـ/788م-923م) حيث ذكر التنسي أن جنوده امتدت إلى الشلف.[4]

*الدولة الرستمية،وتشمل المغرب الأوسط منذ160هـ/776م وهي إمارة خارجية اباضية عاصمتها تيهرت.

*في تلمسان كانت إمارة بني يفرن بزعامة أبي قرة اليفراني حتى سنة 170هـ.

*الفاطميون296هـ-361هـ/909م-972م)،حيث استولت قوات أبي عبد الله على عدة مناطق من المغرب الأوسط.

*الدولة الحمادية(405هـ-547هـ/1014م-1153م)،نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي،بحيث تشكلت دولة قوية في أشير وبجاية.[5]

*الدولة الزيانية(633هـ-962هـ/1236م-1554م)،والتي استطاعت أن تبرز كقوة هامة في المغرب الإسلامي،وحاضرة علمية في المنطقة.[6]

2-تعريف الثقافة:تختلف معانيها واتجاهتها ومن ذلك:

أ-لغة: "الثقافة تعني الحذق ،وجاءت من ثقف الشئ أي الحذق".[7]بينما في المصطلحات والمعاجم الحديثة يطلق على كلمة ثقافةعدة مفاهيم،كرياضة الملكات البشرية،أوترقية العقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في الأدب والفنون،وهي إحدى مراحل التقدم في حضارة ما،وهي كذلك السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات.

كما لها معنى خاص وآخر عام :

---

[4]ابن أبي زرع،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،دار المنصورة للطباعة والوراقة،الرباط،1972،ص15وما بعدها.

[5] ابن خلدون ،**المصدر السابق**،ج.4،ص11ومابعدها.

[6] يحي بن خلدون،**بغية الرواد في تاريخ ملوك بني عبد الواد**،الجزائر عاصمة الثقافة.2007،ج.1،ص25.

[7] ابن منظور ،**لسان العرب**،اعداد يوسف خياط،دار لسان العرب،بيروت لبنان ،(د.ت)،مج.1،ص364.

فالمفهوم الخاص يعني تنمية بعض الملكات العقلية أي تثقيف العقل.أم العام فهي مايتصف به الرجل من الحذف.[8]

أما مالك بن نبي "أن كلمة ثقافة كلمة حديثة جاءت من أوروبا،وهناك من يرى أن الثقافة هي المحيط الذي يتحرك فيه الإنسان (تأثير وتأثر).[9]

وعليه فالثقافة هي ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع من البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في كل الميادين وهي تختلف من حضارة وأشخاص،كما تخضع الثقافة إلى مجموعة من المكونات كالمعتقدات والمذاهب السياسية والعادات والسلوكات،وهي تطلق على كل انتاج فكري أو علمي أو فقهي أو أدبي أو تاريخي ،يجمع بين الروح والمادة وتتضمن جميع العلوم والمعرفة.[10]

3- مظاهر بوادر الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط:

بدأت إرهاصات الثقافة (الحياة الفكرية)العربية الإسلامية في بلاد المغرب منذ أيام الفتح الإسلامي،فقد أدخل هؤلاء الفاتحين كتاب الله الذي يمثل كتاب لغة وبلاغة وفقه وقانون ونظام عام اجتماعي.ولعل من بين العوامل التي ساعدت على ترسيخ هذه الثقافة ،دور الجند الفاتحين بحيث كانوا صحابة رسول الله ومنهم كتاب الوحي وحفظة القرآن الكريم والرواة عن رسول الله،فقد ذكر المالكي حوالي 29 صحابيا.[11]

إن هذه العملية كانت صعبة في البداية وذلك نتيجة عوامل عدة نذكر منها؛أن المغاربة كانوا حديثي العهد بالإسلام،بالإضافة إلى عدم اتقان المغاربة للغة العربية أيام الفتح،لكن يظهر أن بعد فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح فتحت المجال لبناء أول مؤسسة ثقافية بإفريقية ،بعد بناء عمرو بن العاص ،في أول حملة إسلامية لم تتعد مدينة صبراتة عام

---

[8] وهبة مجدي،**معجم مصطلحات الأدب** ،مكتبة لبنان،بيروت(د.ت)،ص98.

[9] مالك بن نبي،**مشكلةالحضارة**،ترجمة،عبد الصبور شاهين،دار العروبة،القاهرة،ط.1،ص16.

[10] بشير رمضان التليسي،**الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م**،دار المدار الإسلامي،بيروت،2000،ص31.

[11] نفسه ،ص60-61.

21هـ /640م مسجدين أحدهما بطرابلس عند باب هوارة ،والآخر في مدينة جنزو اللذين يعتبران أول مسجدين بناهما المسلمون في بلاد المغرب الإسلامي.[12]

وبدأت عملية الاستفادة بالتخلي عن المعتقدات السابقة مع تعلم اللغة العربية ثم الكتابة والتأليف.ويمثل جامع القيروان النواة الحقيقية في انتشار العلوم والمعرفة بالمنطقة،ثم مساهمة الخليفة عمر بن عبد العزيز من خلال إرساله لبعثة علمية ضمت العديد من التابعين الذين أخذوا العلم عن الصحابة من أمثال أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي،الذي ساهم في تفقيه سكان بلاد المغرب.[13]

والذي عكس نضج الثقافة والحياة الفكرية في المنطقة،ظهور الفرق والاتجاهات المذهبية،وما انجر عنها من منازعات وثورات كان لها تأثيرها على هيكلة الحياة الفكرية والعلوم.فقد ظهر الخوارج الإباضية والصفرية،وأرباب الاعتزال والإرجاء وساد التشيع بتطرفه،وظهر الفقه برجاله من المالكية والأحناف والشافعية.وبرز ذلك مع مطلع القرن2هـ/8م وبدأ النزاع بين الخوارج وولاة الأمر ،ثم بين المالكية المحافظين ،والأحناف المتفتحين،وفي دور لاحق بين المالكية والشيعة المتشددين،وقد امتزج المظهر الثقافي بالمظاهر السياسية والاجتماعية.[14]

---

[12] التليسي،المرجع السابق،ص60.

[13] نفسه ،ص61.

[14] نفسه،ص69.

المحاضرة الثانية:

عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية في المغرب الأوسط

عناصر المحاضرة

تمهيد

1-الظروف العامة لازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط

2-عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الرستمي

3- عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الحمادي

4- عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الزياني

تمهيد:

عرف المغرب الأوسط ازدهارا في الحياة الفكرية ،حيث كانت حواضره مراكزا من حوار الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي،و ظل الوضع قائما حتى في أحلك أوقات الصراع السياسي وأزمنة القطيعة التي كانت تظهر هنا و هناك مع جيرانها لأسباب سياسية ورغم هذه الصراعات استمر الازدهار الثقافي نتيجة للعوامل التالية :

1-الظروف العامة لإزدهار الحركة الفكرية والتعليمية في المغرب الأوسط:

-حث القرآن الكريم والحديث النبوي على طلب العلم.

-بروز الاتجاهات الفكرية المتنوعة ،كالخوارج والشيعة وفي المقابل أهل السنة والجماعة.

-عناية السلاطين والخلفاء بالعلم والعلماء من خلال تقديم الهدايا والأعطيات ،والرفع من منزلتهم وتقديرهم.

-الرحلات العلمية خاصة الحج.

-حرية تنقل العلماء و الأدباء و الشعراء بين هذه الحواضر[15] .

-ازدياد تراسل و تبادل المعلومات و المخطوطات بين علماء المغرب الأوسط ازدهار صناعة الوراقين ونسخ الكتب، وشكلت هذه الظاهرة تمييزا حتى أصبحت لها مكانة قوية في بلاطات السلاطين.

-وفرة الإجازات العلمية بين العلماء والأدباء والفقهاء حيث أصبحوا إعلاما زانوا بإعمالهم المحافل العلمية على مستوى المغرب الأوسط.[16]

-ازدهار فن النسخ والوراقة بمدينة تلمسان ،مما ساهم في كثرة المصنفات والمكتبات وخزائن الكتب.وازدهار تجارة الكتب ودورها في توسع الثقافة بين المشرق والمغرب.

-يعد تأسيس تاقرارت بجانب أغادير من طرف يوسف بن تاشفين خطوة حاسمة في تطوير مدينة تلمسان،حيث أن المرابطين أولوها عناية خاصة، وجعلوها مقر ولاية المغرب الأوسط

---

[15] عدنان حقي،**الصوفية والتصوف**،ط.2،(ب.د)،دمشق،1992،ص36.

[16] نفسه،ص37.

فشيدوا لها قصرا جعلوه مقر الوالي، و بنوا المسجد الأعظم ،كما بني الأمراء والوجهاء منازل فخمة حوله فأصبحت المدينة الجديدة تستقطب العلماء والأدباء والتجار والعديد من الوافدين من مختلف أنحاء الدولة.[17]

-في العهد ألموحدي تواصل التوسع العمراني للمدينة مع تزايد النشاط التجاري من جهة و تعميق الثقافة الإسلامية من جهة أخرى .

-أما العصر الذي تلا الموحدين،فيعد في الواقع امتدادا للعصر الموحدي حيث سارت دول المغرب الإسلامي على نهج الموحدين في تشجيع العلم والعلماء .

-و قد كان لحركة الهجرة الأندلسية دور كبير في تطور الحياة الفكرية في بلدان المغرب الأوسط، وتعود أسباب هذه الهجرة إلى:

-التدهور الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الأموية 430 هـ ، وقيام ملوك الطوائف430-488 هـ

-ضم الأندلس إلى المرابطين 530-488 هـ

-هذا بالإضافة إلى رعاية وعناية ملوك بني عبد الواد للعلم والعلماء والمنافسة التي كانت قائمة بين ملوك المغرب الإسلامي في مجال العلوم والآداب .

لم تظهر الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط بشكل جلي إلا مع قيام دولة بني زيان في منتصف القرن 7هـ/ 13م وذلك نظرا لاتخاذ بني زيان مدينة تلمسان حاضرة لهم ومن ثمة بدأوا في تمصيرها وتحصينها وجلب رجال العلم إليها من كل أفكار العالم الإسلامي وبذلك ظهرت فيها سوق العلم الناقعة بالعلماء والمؤلفات في مختلف العلوم هذا بالرغم من تدهور الوضع السياسي في دولة بني زيان بسبب الصراع على الحكم بين أقراد الأسرة الحاكمة وكذا تعرضها للغزو من قبل جيرانها المرينيين في الغرب والحفصيين في الشرق إلا أن هذا الوضع لم يمنع من وجود حياة ثقافية وعلمية فيها. فما هي أسباب نمو هذه الحركة العلمية

---

[17]بن الذيب عيسى،**الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر ،2007،ص34.

فيها.

-لذا فليس من الغريب أن يشهد القرن الثامن الهجري نبوغ عدد كبير من رجال العلم والأدب وبروز إنتاج ثقافي غزير يحمل طابع الاجتهاد والإبداع، ويخص سائر المجالات حتى الرياضيات والفلك والطب التي لم تحظ قبل ذلك بكثير من اهتمام العلماء في بلاد المغرب[18] .

هذا بشكل عام أما عن كل دولة منفصلة نبرزها على النحو التالي:

2-عوامل نمو الحركة الفكرية والعلمية في العهد الرستمي:

قام الرستميون بدور ريادي في الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط بعد تفرق الأمة الإسلامية إلى مذاهب دينية، فكانوا أول من حمل مشعل العلم إلى بلاد المغرب قاطبة، خدمة لحركتهم المذهبية بعد أن حلت بالمنطقة وجسدت مشروع الدعوة بإقامة الدولة الرستمية الاباضية بالمنطقة، على أرض الواقع. ومن أبرز العوامل المساعدة على نمو العلوم والمعارف في هذا العهد ،ما يلي:

*البعثة العلمية المغربية نحو البصرة في العراق135هـ/752م(بعثة حملة العلم):

وقد أخذت مشيخة المذهب الاباضي عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وبعد خمس سنوات من التلقي تخرج فيها الموفدون الاربعة (عبد الرحمن بن رستم- عاصم السدراتي - إسماعيل بن درار الغدامسي- أبو داود القبلي النفزاوي) ولما قفلوا راجعين انضم إليهم

أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني[19]. وشكل هؤلاء النواة الأولى التي دار عليها نقل علم المذهب الاباضي إلى بلاد المغرب، إلى جانب سلمة بن سعد الذي جاء من

---

[18] التليسي بشير ،المرجع السابق،ص371.

[19] الباروني،سليمان بن عبدالله ،**الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،ط،1،تونس،1986،القسم الثاني،ص70.

المشرق وسبقهم إلى المغرب الأدنى، فكان حرصهم شديدا على نشر العلم بمذهبهم و إقناع المغاربة بتبنه والعمل به.[20]

*شغف الأئمة الرستميين بالعلم والعلماء:

حيث اهتم أئمة الرستميين بكل ما يتصل بالثقافة والفكر لشدة ولعهم بالعلم ،فالإمام أفلح بن عبد الوهاب دارت عليه أربع حلق، كانت موضوعاتها تتمحور في الفقه والأصول والنحو وعلم الكلام،ولم يكن بعد قد بلغ الحلم ونتيجة لذلك أنشأوا الكتاتيب والمساجد التي كانت تغص بطالبي العلم ، حيث عرفت المساجد نظام الحلق، فكان لكل علم حلقة يختص بها تختلف عن غيرها،وتنوعت هذه الحلق بين فقه وحديث وتفسير ولغة وغير ذلك.[21]

*إنشاء المكتبات العلمية:

انصب اهتمام الرستميين بتشييد المكتبات بالنظر إلى أهمية الكتاب عندهم،وهذا الذي ساهم في انتشار الخزائن ومن أشهرها مكتبة المعصومة، التي حملت مختلف فنون العلم والأثار وكانت تعد بآلاف المجلدات،ذلك أن أبا زكريا صاحب السير ذكر لنا أن المشرق بعثوا لعبد الوهاب أربعين حملا من الكتب،مثلت النواة الولي لمكتبة المعصومة بتيهرت.[22]

ومما يؤسف له أن هذه المكتبة تعرضت للحرق بعد أن اقتحم أبي عبد الله الشيعي تيهرت ، الذي استثنى منها كتب الصنائع والحساب وسياسة الملك ،وأتلف ما سوى ذلك فضاعت الكثير من الذخائر والنفائس بسبب التعصب المذهبي . وإلى جانب المعصومة ذاع صيت خزانة نفوسة بمدينة شروس التي حوت هي الأخرى آلاف الكتب، بالإضافة إلى أن المنازل كانت تتزين بالكتب الخاصة التي وجدت في منازلّ علماء الدولة الرستمية.[23]

---

[20] اسماعيل عبد الرزاق،**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرنالرابع الهجري**،مطبعة النجاح الجديدة،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط.2،1985،ص38.

[21]بحاز إبراهيم بكير،**الدولة الرستمية ، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**،المطبعة العربية بغرداية،الجزائر،ط.2،1993،ص281.

[22] نفسه،ص-ص288-290.

[23]الشماخي،أحمد أبي العباس،**كتاب السير،تراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس**،تحقيق،محمد حسن،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس،سلسة4،تونس 1995،ص148-149.

*الاهتمام بحركة التصنيف والتأليف:

تنافس الأئمة والعلماء على عملية التصنيف والتأليف فشاركوا في النهضة العلمية بالتأليف والكتابة في جميع الفنون، وكان في مقدمتهم الإمام عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التفسير وآخر جمع فيه خطبه.أما الإمام عبد الوهاب فمن آثاره كتاب بعنوان"مسائل نفوسة الجبل" وقد ترك الإمام أفلح مؤلفات ورسائل علمية بعضها طبع والبعض الآخر لا يزال مخطوطا ،في حين كان الإمام أبو اليقظان من المكثرين في مجال التأليف ومن مؤلفاته "رسالة في خلق القرآن".[24]

أما علماؤهم فقد ألفوا في مجالات مختلفة ،ومن هؤلاء على سبيل المثال لا للحصر هود بن محكم الهواري الذي ألف في التفسير كتابا في سفرين كبيربن ،وعمروس بن فتح النفوس ي الذي كان له عدة تصانيف في الفقه. ومنها في الأصول والفروع،يرد فيها على بعض المتكلمين من فزان في مؤلفه المعروف بالعمروسي. وضمن هذا الإطار لا يمكن تجاهل شخصية يهوذا بن قريش التيهرتي، الذي عاش في القرن 9/هـ3 م وهو امتداد طبيعي وتوفي في القرن4هـ/10 م وهو امتداد طبيعي للدولة الرستمية ،وكان متضلعا في عدة لغات كالعربية ، والعبرية والأرامية والفارسية والبربرية وترك كتابا برهن فيه على أن اللغة العربية والعبرية والكنعانية والبربرية ذات أصل واحد.[25]

3-عوامل نمو الحركة الفكرية والعلمية في العهد الحمادي(408هـ-547هـ/1018-1153م):

تمثلت عوامل نمو الحركة الفكرية فيما يلي:

-تشجيع الأمراء للعلم والعلماء:بحيث عمل كل من الناصر بن علناس على نهضة الحياة العلمية ،كما كان المنصور شاعرا، واشتغل الأمير يحي بالشعر فكان فصيحا وحسن القلم والكتابة.

---

[24]الوسياني،أبي الربيع سليمان،**السير**،دراسة وتحقيق،عمر لقمان بوعصبانة ،وزارة الثقافة،سلطنة عمان،مسقط،ط.2009،1،ج.1،ص234.

[25]الدرجيني،أبي العباس أحمد بن سعيد،**طبقات المشايخ بالمغرب**،تحقيق،إبراهيم طلاي،قسنطينة،الجزائر ،1974،ج.1،ص56.

– مساهمة الحماديين في نشر اللغة العربية باعتبارها جزء من الإسلام في عهد دولتهم، وساعدهم في نشر الثقافة العربية لتصبح ثقافة المجتمع هجرة القبائل الهلالية في منتصف هـ11/5م القرن إلى بلاد المغرب واستقرارها بها .فكان من آثار هذه الهجرة مساهمتها في تعريب الثقافة المغاربية ،وأصبح المغرب الأوسط أثناء القرن 6هـ/12م ، في عداد الدول المعربة . وعرف هذا القرن انتشار المذهب المالكي في كل بلاد المغرب والأندلس وغرب إفريقيا.[26]

–رغبة البربر في تعلم الشرع واللغة العربية، على اعتبار أن اللغة أساس التعلم وبها يتم فهم علوم الشريعة و القرآن وهي لسان الأدب والعلم، وعنوان الثقافة. وحرصوا على تعلمها و إتقانها ،حتى صاروا ينافسون العرب في لغة الضاد ويناظرون فقهاءهم في قواعد الأصول وفروع الفقه ومبادئ علم الكلام.[27]

–ازدهار العلوم العقلية ببجاية،بحث استقطبت إليها علماء أوروبا لتعلم الرياضيات بالأرقام العربية،بالإضافة إلى الجبر والهندسة ومن بين الذين زاروا بجاية" ليوناردو فيبوناتشي "والفيلسوف "رامول لول".

–انتشار المكتبات الخاصة والعامة التي أصبحت عبارة عن مراكز إشعاع حضاري وعلمي ،ومنها مكتبة جامع المنار بالقلعة التي كانت عامرة بالمصنفات المحمولة من أقطار المغرب.

–ازدهار الوراقة،الأمر الذي شجع على تطور فن النسخ والكتابة بحيث كثرت المخطوطات وبرز عدد من الخطاطين تنافسوا في نسخ المصاحف والكتب مما ساهم في تنشيط الحياة العلمية والفكرية.[28]

---

[26] إسماعيل العربي،**العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد**،**مجلة الأصالة**،**وزارة الشؤون الدينية والأوقاف**،**الجزائر**،1974،العدد19،ص331–361.

[27]ابراهيم حركات، **دور بجاية في الحضارة**، **مجلة الأصالة**،**وزارة الشؤون الدينية والأوقاف**،**الجزائر**،1974،العدد19،ص15–16.

[28]إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص.124

4-عوامل نمو الحركة الفكرية والعلمية في العهد الزياني(633هـ-962هـ/1235-1554م):

ساهمت جملة العوامل وتظافرت فيما بينها وأدت إلى بروز الحركة الفكرية بالدولة الزيانية ومنها:

-تشجيع السلاطين والأمراء على طلب العلم فقد كان منهم من اشتغل بالعلم على غرار أبي محمد عبد الله بن عثمان بن يغمراسن،والسلطان الأديب أبي حمو موسى الثاني ،الذي تمكن في العديد من العلوم كالشعر والأدب ،ومن آثاره كتاب"واسطة السلوك في سياسة الملوك"،واشتهر السلطان أبي زيان محمد الثاني بحبه للعلم فأنشأ خزانة خاصة به عامرة بالكتب،وألف كتاب في التصوف سماه"الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة".[29]

-إنشاء المدارس،بدأ ظهور المدارس مع بداية القرن8هـ/14م وكان هدفها خدمة المذهب المالكي وكانت حكومية رسمية تابعة للدولة من حيث التمويل وتعيين الأساتذة والمدرسين بدفع رواتبهم،وإعانة الطلبة،وأقاموا المكتبات بها فصارت تستقطب العلماء والطلبة.[30]

-الوراقة،اشتهر فن النسخ والخط وشمل عديد المصنفات كالمصاحف وكتب الحديث كصحيح البخاري ،الأمر الذي أدى إلى انتشار فن الخط والتجليد و التوريق والتزويق وتذهيب العناوين وتلوين بعض حروفها ،وكان هذا التنافس عاملا مساعدا على نمو الحياة الفكرية والتعليمية في المغرب الأوسط.[31]

---

[29] عبد الحميد حاجيات،**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة الإسلامية،عدد خاص،وهران،1993،ص39.

[30] عبد العزيز فيلالي،**تلمسان في العهد الزياني، دراسة عمرانية سياسية،اجتماعية، ثقافية**،ج2،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية،الجزائر ،2000،ص319.

[31] نفسه،ج2،ص377.

المحاضرة الثالثة

الحواضر والمراكز العلمية في المغرب الأوسط:

عناصر المحاضرة

تمهيد:

1-حواضر الرستميين

2-حواضر الحماديين

3 - حاضرة تلمسان

4-حواضر أخرى

تمهيد:

يعتبر المغرب الأوسط في الغالب ديار زناتة ، وزناتة قبيلة بربرية بترية بدوية لا يستقر لها قرار، وبالتالي كانت أبعد من أن تهتم بالتعليم أو تلتفت إليه خاصة في القرن الأول والثاني للهجرة (7-8م) قبل تأسيس كيان الإمامة الرستمية عام 160هـ/ 777م. [32]ومن هنا يلاحظ ندرة مراكز التعليم في المغرب الأوسط إذ لا توجد إلا في بعض المدن الأساسية التي لها دور في الحياة السياسية ، كمدينة ميلة في إقليم كتامة، وكانت عاصمة المغرب الإسلامي على عهد الفاتح أبي المهاجر دينار (55هـ/ 62هـ-675م-681م) وذلك لحوالي ثلاث سنوات 59-61هـ/ 678-680م ، ومدينة تيهرت عاصمة الرستميين من 160إلى 230هـ/ 777-808م، ومدينة تلمسان إحدى الولايات الأساسية والمدن المهمة في دولة الأدارسة التي كانت نشأتها عام 172هـ/ 788م واستمرت إلى ما بعد قيام الفاطميين ردحاً من الزمن، وكذلك يمكن ذكر مدينة وارجلان (ورقلة) في هذه الفترة إذ عرفت نشاطاً ثقافياً ملفتاً للنظر خاصة وأنها مدينة صحراوية يقول عنها ابن خلدون إنها بوابة الولوج إلى المفاوز.[33]

ولعل من المراكز التعليمية في المغرب الأوسط تلك المدن التي انفرد بذكرها اليعقوبي أحمد بن واضح (ت 284هـ/ 898م) في بلدانه منسوبة إلى أشخاص علويين، فليس بمستبعد أن يكون أولئك العلويون كلهم أو جلهم شيوخ علم وتعليم في أحوازهم ومنها مدينة هاز وحيزها، وكانت للحسن بن سليمان الذي ينتهي نسبه عند الحسين بن علي بن أبي طالب، ومتيجة وأحوازها، وكانت لرجال من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب يقال لهم بنو محمد بن جعفر وكذلك مدن مدكرة والخضراء وسوق إبراهيم[34].

إن هذه المراكز التعليمية في المغرب الأوسط، يبدو لنا من خلال رؤيتنا الأولى واطلاعنا

---

[32] رابح بونار ،**المغرب العربي تاريخه وثقافته**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط.2،الجزائر ،1981،ص86.

[33] إبراهيم بحاز ،المرجع السابق،ص87.

[34] التليسي بشير،المرجع السابق،ص371.

على جل مصادر الفترة قيد الدراسة تمثل أهم المراكز وليس كلها، ويلاحظ أنها تتوزع ببلاد المغرب الأوسط شرقاً وغرباً ووسطاً وجنوباً.

1-حواضر الرستميين:

أصبحت تاهرت مركز العلم تشد إليه رحال طلبة العلم من كل مكان فهذا المقديسي يقول ":هي بلخ المغرب ...يفضلونها على دمشق ...وعلى قرطبة.." [35] هذا الذي يدل على مركزها بين المدن العلمية الكبيرة أنذاك ،وهذا ما يؤكد على ما وصلت إليه من الازدهار والتقدم.

وقد أتاح تعايش العلماء على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم في تاهرت عاصمة الرستميين في ظهور نواة أولى لمدرسة لها خصائصها العلمية المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي في بلاد المغرب.فقد كان بتاهرت الإباضية مذاهب غيرها، كالصفرية الذين كان لهم حصن تالغمت (تيلغمت حاليا بين الأغواط وغرداية) ، والواصلية الذين استقروا على مقربة من تاهرت ،وكانوا يسكنون بيوت الشعر،ويقدر عددهم حوالي 30ألف. هذا إلى جانب العراقيين الذين اشتهروا بالرأي والقياس، والحجازيين الذين عرفوا باقتفائهم للسنة والأثر. وقد أدى هذا التنوع المذهبي بتاهرت إلى كثرة المساجد التي كانت أهم دور التعليم، وينهض دليلا على ذلك ما قاله ابن الصغير:" حتى لا ترى دار إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين..."[36]

و من المراكز العلمية الهامة في الدولة الرستمية غير تاهرت ، مدينة شروس بجبل نفوسة، وطرابلس وجبل وسلات وجبل دمر وقسطالية ،ومدينة جادو وقرية أجناون وجزيرة جربة ، وبالمغرب الأوسط الزاب وأريغ وسوف وبغاي وجبال أوراس وبادية بني مصعب(ميزاب) ووا

---

[35] المقديسي شمس الدين،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط.1،بيروت،دار الكتب العلمية،2003،ص185

[36]ابن الصغير المالكي،**أخبار الأئمة الرستميين** ،تقديم وتحقيق ،محمد ناصر وابراهيم،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان،1986،ص102.

رجلان وتاجديت التي قال عنها الشماخي ": تاجديت موضع معلوم بقبلة أريغ وليست ببعيدة منه.اجتمع فيه من أهل الدعوة والعلماء والطلبة وأهل الصلاح ما لم يوجد في غيرها،وعد فيها مائة عالم لا يرد أحدهم مسألة إلى الآخر إلا من جهة الأدب ، وفيها مائتان يحفظون مائتي كتاب ، وثمانون طالبا. ويحضر الصلاة ثلاثمائة فارس،وإذا كبروا تكبرة الإحرام نفرت المواشي..."[37]

أما وارجلان فإنه بعد استيلاء الشيعة العبيديين على تاهرت سنة (296هـ-909م)،فر إليها الإباضية وارتحل إليها يعقوب بن أفلح(ت 310هـ-922م)واتخذها مستقرا له،فعرض عليه أهلها الإمامة فرفضها،وقال:"لا يستتر الجمل بالغنم"،ويذكر الشماخي أن وارجلان شهدت بقدومه بداية انتعاش الحركة العلمية والثقافية وحلت شيئا فشيئا محل تاهرت ، وبطبيعة الحال كان ليعقوب بن أفلح دور في هذا الانتعاش الذي أصاب وارجلان باعتباره أحد الأئمة الرستميين الذين لم يخل أحدهم من العلم، وذكر الدرجيني أنه كان يحمل أنواعا من العلم،وقال:" بلغنا أن سائلا سأله ذات يوم، أتحفظ القرآن؟ فقال : أستعيذ بالله من أن ينزل على مّوسى وعيسى عليهما السلام ما لم أحفظ وأعرف معناه، فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم."[38] وقد نشر علمه وساهم مساهمة فعالة في الحركة العلمية هناك.

ازدهرت الحركة العلمية بوارجلان وإليها التجأ زعماء الاباضية من تاهرت وغيرها التي توفرت فيها أسباب الاستقرار والتعليم ما ساعد على ازدهار الحركة العلمية بها.

ساهم أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي في إرساء قواعد نظام العزابة بآدابه وقوانينه ونظام الدراسة والحياة في الحلقة وما يتعلق بها من السلوك والعبادة، وصاغه في صيغته النهائية، التي جمعت بين التعليم والتكوين ،وبين التدريس والتوجيه وبين الشكل والروح

---

[37] الشماخي أبو العباس أحمد،**كتاب السير**،تحقيق محمد حسن ،شركة أوربيس للطباعة،تونس،1995،ص155-159.

الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد،**طبقات المشايخ بالمغرب**،جزآن،تحقيق وطبع،ابراهيم

[38]طلاي،الجزائر ،قسنطينة،الجزائر ،1974،ج.1،ص56.

.الأمر الذي أدى إلى بناء حركة علمية تربوية منظمة تنظيما دقيقا للمحافظة على استمرارية البناء الاجتماعي والديني والعلمي للمجتمعات الاباضية بعد أن أدرك فشل المحاولات السياسية والعسكرية في إعادة الدولة الإباضية وترسيخها على أنقاض الدولة العبيدية.

وعرفت المنطقة بعد ذلك قيام حواضر علمية عدة أشهرها: قلعة الحماديين وبجاية وتلمسان وقسنطينة.

2-حواضر الحماديين:

وقد زخرت قلعة بني حماد منذ القرن الخامس الهجري بالعلماء والفقهاء كعبد الله بن حمو المسيلي الذي كانت له معرفة واسعة بالأصول والفروع، وعبد الله بن محمد المسيلي الذي قال عنه ابن فرحون: "الإمام الأوحد البارع المتفنن، صاحب المصنفات البديعة والعلوم الرفيعة.[39] كان حاله عجيباً ومنزعه غريباً وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح"، وله من الآثار "غاية الحصول" في أصول الفقه، وقد عاش في القرن السابع الهجري. وفي القرن السادس برز حسن بن علي بن محمد المسيلي الفقيه والمتكلم ورفيق الولي الصالح أبي مدين التلمساني. وقال عنه الغبريني في كتابه "عنوان الدراية" انه "جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن، له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة". وكان يعرف بأبي حامد الصغير لسلوكه في كتابه "التفكير في ما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" مسلك أبي حامد الغزالي، وله كتاب "التذكرة في أصول علم الدين" و"النبراس في الرد على منكر القياس" الذي قال عنه الغبريني إنه "ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله[40]."

[39] عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق،ج.1،ص69.

[40]الغبريني،المصدر السابق،ص201.

وفي القرن الثامن سطع نجم القاضي العالم أحمد بن أبي القاسم أبو العباس المسيلي وأحمد بن محمد بن أحمد المسيلي الذي ترك "تقييداً في التفسير" عن ابن عرفة، وقد خصه التنبكتي بقوله: "هو تقييد فيه فوائد وزوائد ونكت[41]."

ويعد أحمد بن الحسين المسيلي الذي عاش في القرن السادس الهجري من أكبر شعراء زمانه وفيه يقول أحدهم إنه "من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب المتمسكين فيه بأمتن سبب، له مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض وأغزل من العيون الرياض وكان شعره مدوناً بالثغر الأعلى بمدينة سرقسة[42]."

ولحاضرة الحماديين بجاية علماؤها الكثر الذين يضيق المقام عن ذكرهم منهم الأديب أحمد بن محمد علي البجائي الذي عاش في القرن التاسع وأحمد بن محمد الشهاب البجائي الفقيه والمنطقي ،والذي قال عنه السخاوي: "تقدم في العلوم... أخذ عنه الأعيان من كل مذهب فنوناً كالفقه والعربية والصرف والمنطق والعروض". وسليمان بن يوسف البجائي الذي قال عنه الشيخ زروق بأنه "من صدور الإسلام في وقته علماً وديانة" وله من التصانيف "سير السالكين وسراج الهالكين" وأخرى في علمي المنطق والحساب. وقبله كان عبدالحق بن ربيع البجائي من أشهر متصوفة القرن السابع وهو الذي قال فيه الغبريني: "كان يحمل فنوناً من العلم والفقه والأصلين والمنطق والتصوف والفرائض والحساب... له قصيدة صوفية من نحو 500 بيت[43]."

ومن متصوفة القرن السادس عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين صاحب "قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين". وبرز في علم الحساب والمنطق خلال القرن السابع عبدالوهاب بن يوسف البجائي الذي قال عنه الغبريني: "كان له معرفة بالحكمة وبراعة في

---

[41].إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، ص.124

[42]الطاهر بونابي: **الدولة المركزية بقلعة بني حماد التأسيس والتداعيات**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006م، ص50.

[43]محمد بن عميرة: **القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى**، حولية المؤرخ، ع1، يصدره إتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002م، ص110.

علم المنطق، خصوصاً على طريق المتأخرين، ولم يكن في وقته أعلم منه بكشف الأسرار الذي وضعه الخونجي في علم المنطق وهو أعلم به من واضعه[44]."

3-حاضرة تلمسان:

وكان حظ مدينة تلمسان من العلماء أوفر من أية حاضرة أخرى على مدى الزمان ذلك لأنها كانت عاصمة لعديد من الدول التي قامت في المغرب الأوسط ولأنها قريبة من الحواضر العلمية المشهورة كفاس ومراكش وغيرهما. وظلت على مدى قرون من الزمان محط أنظار علماء الأمصار الأخرى. ومن أشهر علماء تلمسان يمكن ذكر أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج البيدري التلمساني الذي عاش في القرن العاشر الهجري وصاحب مصنف "أنيس الجليس"، وله، كما يذكر التنبكتي "تآليف ومسائل وتعاليق في فنون وكلام محقق على الرسالة."[45]

وبين القرنين السادس والسابع عاش الفقيه الأصولي عبد الله بن محمد بن علي الفهري الذي مات في القاهرة سنة 644هـ تاركاً الكثير من المصنفات لعل أشهرها "شرح التنبيه" و"شرح المعالم في أصول الفقه" و"المجموع" في الفقه. وهي الفترة التي عاش فيها القاضي علي بن ابي القاسم التلمساني صاحب "المقتضب الأشفى في اختصار المستصغى" في أصول الفقه، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي صاحب "شرح الجلاب" المتوفي في الإسكندرية سنة 656هـ، ومحمد بن أحمد بن عامر التلمساني الذي تولى قضاء سلا أيام السلطان يوسف بن يعقوب المريني وترك آثاراً جمة نذكر منها "الانتفاع" الذي يقع في 120 ورقة.[46]أما محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي التلمساني، الذي قال عنه ابن الأبار إنه كان "معظماً عند الخاصة والعامة"، فله من التصانيف "المختار في الجمع بين المنتقى

---

[44]عبد العزيز فيلالي: **قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط القرن 5هـ/11م**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م.، ص16.

[45]عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ص17.

[46]أحمد بابا التمبكتي: **نبيل الابتهاج في تطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص16

والاستذكار" الذي يقع في ثلاثة آلاف ورقة و"نظم العقود" و"فرقان الفرقان" وغيرها.ومن متصوفة تلمسان الذين عاشوا في القرن السابع الهجري أحمد بن عبد العزيز بن إسماعيل صاحب كتاب "مجاميع" في التصوف وعبد الغني بن عبد الجليل الذي نذكر من مصنفاته: "شرح منازل السائرين". وإلى جانب تلك الحركة العلمية التي عرفتها تلمسان فقد ازدهرت حركة أدبية بفضل عديد الأسماء اللامعة في الشعر واللغة نذكر منها عبد الرحمن بن محمد التلمساني الذي أورد صاحب "البستان" ابن مريم التلمساني قصائد من شعره، ومحمد بن عبدالله بن داود الذي ترك "ثلاث رسائل إلى بني العزفي" ومحمد بن عبدالله بن مروان الذي اشتهر بقراءته لكتب ابن حزم وتولى قضاء قضاة السلطان يعقوب بن يوسف سنة 583هـ.[47] غير أن أكبر شعراء تلمسان على الإطلاق هو ابن خميس التلمساني الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وتولى ديوان الانشاء في عهد السلطان ابي سعيد بن يغمراسن وانتقل الى الأندلس وعرف بها ومات مقتولاً نحو سنة 708هـ، وقال عنه ابن خلدون "كان لا يُجارى في البلاغة والشعر"، وقال لسان الدين بن الخطيب انه كان "عارفاً بالمعارف القديمة، مضطلعاً بتفاريق النحل قائماً على العربية والأصلين، طبقة الوقت في الشعر وفحل الأوان في المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب"، وله ديوان شعر مطبوع.

4-حواضر أخرى:

وكان **لمدينة الجزائر** علماؤها أيضاً أشهرهم الصوفي المفسر صاحب الضريح عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الذي ترك أزيد من تسعين كتاباً اشهرها "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" الذي يقع في أربعة أجزاء و"الإرشاد في مصالح العباد" و"إرشاد السالك" و"جامع الهمم في أخبار الأمم" و"قطب العارفين" في التصوف و"كتاب الأنوار في آيات النبي المختار"، كما ازدهرت الحركة العلمية بحواضر أخرى كبونة (عنابة) اليوم ومنطقة

[47] عثمان الكعاك:**موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي**، مراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، (بدون تاريخ)، ص187.

وادي ميزاب وقسنطينة. غير ان هذه الثروة العلمية لمّا تصل إلى أيدي القراء والباحثين ولا يزال جلّها، في أحسن الحالات، مخطوطاً مدفوناً في المكتبات الوطنية والخزائن الخاصة، وهو تراث لو قُدّر له أن يخرج ويصل إلى الناس لسلّط الضوء على كثير من الجوانب المخفية في علاقة المشرق بالمغرب سيما على الصعيد العلمي والفكري حيث البون الشاسع والاختلاف الواضح عن العلاقات السياسية التي سادت بين أقطار المغرب وأقطار المشرق.

المحاضرة الرابعة

التيارات الفكرية والمذهبية في بلاد المغرب الأوسط

عناصر المحاضرة:

تمهيد:

1-المذهب المالكي بالمغرب الأوسط.

2-الخوارج .

3-الشيعة.

4-تيار المعتزلة.

تمهيد:

تساقطت إلى منطقة المغرب والأندلس بعض من آراء الفرق والمذاهب العقدية، وورد عليها بعض من الأشخاص الذين يحملونها، ولكننا لا نجد منها من استطاع أن يتأصل فيها ويمد جذوره ليستقطب مجموعة عريضة من الناس. كانت بلاد المغرب إلى غاية نهاية الربع الأول من القرن الخامس الهجري عبارة عن فسيفساء مذهبية شكّلت فيها المذاهب التي ستصنّف في خانة "السنّة والجماعة" فيما بعد أقلية نخبة حضرية قوامها العناصر العربية والفارسية المستقرة في مدن إفريقية الشمالية والشرقية بعيدا عن المغربين الأوسط والأقصى وإفريقية الجنوبية، حيث انتشرت أفكار تيارات إسلامية قادمة من المشرق ويجمعها الموقف المعارض للسلطة الأموية ثم العباسية. نجحت معظم هذه التيارات في تحقيق جزئي للهدف، وهو الانتشار بشكل واسع لدى الجماعات الريفية المنتشرة غرب وجنوب ولاية إفريقية الموالية لسلطة الخلافة بالمشرق.

1-المذهب المالكي ودخوله المغرب الأوسط:

كان المغاربة في صدر الإسلام على مذهب السلف من الأمّة واعتقادهم، وهو المذهب الحق إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية لأوّل المائة الثانية من الهجرة[48]ومن المعروف تاريخيًا أنَّ المذهبين السُّنِّيين الأوزاعي والحنفي كانا أسبق المذاهب السُّنِّية دخولًا إلى إفريقية والأندلس، وظلَّ المذهبان معمولًا بهما في بلاد المغرب ردحًا من الزمن إلى أن بدأ طلّابُ هذه البُلدان يرحلون إلى المشرق الإسلاميّ بقصد أخذ العلم وطلب الرواية عن فقهائه وعلمائه.[49]

وقد كان في القيروان قومٌ قلَّة في القديم أخذوا بمذهب الشَّافعيّ، كما دخلها شيئٌ من مذهب داود الظاهريّ، ولكن في الغالب عليها مذهب مالك وأبي حنيفة إلى أن جاءت دولة الأغالبة الذين مالوا إلى الأخذ بمذهب الأحناف وآثروهم بالرِّياسة والقضاء، ثمّ العبيديون من بعدهم، حتّى جاء المُعِزّ بن باديس عام 407هـ فحمل النّاس من جديد على المذهب المالكيّ

---

[48].أبو العبّاس أحمد بن خالد النّاصريّ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري، محمد الناصريّ، ج1، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص192.

[49].عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الهلال العربية، الرباط، 1993، ص15.

وأنهى بذلك الخلاف الذي كان قائمًا بين المذهبين، ومن الملاحظ أنَّه ما اختاره إلَّا لأنّه كان أكثر انتشارًا بين أهل تلك البلاد[50].

وإذا كانت بداية دخول المذهب المالكي إلى القيروان معروفة، نتيجة الرحلة نحو المدينة وأخذ المذهب عن صاحبه، فإنَّ الأمر بالنسبة للمغربين الأقصى والأوسط على عكس ذلك، فيقول القاضي عيّاض أنَّ أسد بن الفرات من بين الذين أدخلوا الفقه المالكي إلى إفريقية، في حين أنّه سمع الموطّأ قبل رحلته إلى المشرق الإسلاميّ عن عليّ بن زيّاد بإفريقية، ورغم ذلك تتَّفق المصادر كلّها تقريبًا على عمل عليّ بن زيّاد الكبير في هذا الشّأن[51]، إذ يقول القاضي عيّاض:" **هو اوّل من أدخل المُوطّأ وجامع سفيان المغرب، وفسّر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وكانقد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلّم سحنون الفقه"[52].**

غير أنَّ هذه المصادر لم تذكر بدقّة تاريخ ذلك، وقد جعله عبد المجيد بن حمدة في حدود سنة 150هـ/767م[53].

و على اعتبار أنَّ عليّ بن زياد من علماء القرن 2هـ/8م فيُرجّح دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب في القرن 3هـ/9م وهذا حسب المستشرق **ألفرد بل** الذي قال:"... **ولايمكن فهم خصائص المذهب المالكيّ، الذي دخل بلاد المغرب منذ القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي..."[54]**

---

[50] عمر الجيدي،المرجع السابق ، ص18.

[51].نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكيّ بالغرب الإسلاميّ(إلى منتصف القرن الخامس الهجريّ– الحادي عشر الميلادي)**، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص38.

[52].القاضي عياض، **تراجم أغلبية(مستخرجة من مدارك القاضي عياض)**، تح محمد الطالبي، الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968م، ص22.

[53].عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، ط1، مطبعة دار الغرب، تونس،1986م، ص139.

[54].ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقيّ(من الفتح العربيّ حتى اليوم)**، ترعبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب **الإسلاميّ**، لبنان، 1987، ص114.

كما كان للمغرب الأقصى والأندلس دورٌ في انتشار المذهب المالكيّ في المغرب الأوسط بفعل استقرار عدد من الجاليات الأندلسية في الجانب الغربيّ منها بهدف التجارة[55].

وواجهت المذهب في هذه البلاد محن عصيبة على يد العُبيديين، وفي ظلّ الموحّدين، فما خبتَت شُعلته، وإنَّما وَعته صدور العلماء، ونسخته أيدي الطلبة، وكان تعلّقهم به جليًا حتّى إذا ذكر المالكية ذكروا، وإذا نشأ خلافٌ في تشهير مسألة مع أشقّائهم المشارقة قُدّم تشهير المغاربة، والحديث عن انتشار هذا المذهب لديهم حديث عن المالكية الخلَّص بحيث لم يُخالطهم مذهب آخر، ولئن كان هذا التفرّد المذهبي له أضرار على التأليف الفقهية باعتبار أنَّ المُقارنة تُغني الفقه، إلّا أنَّ الدّارس للفقه في تلك الفترة لا ينشغل بغير هذا المذهب، ورحم الله مالكًا حين أجاب المهدي الذي أراد أن يحمل الأمّة على الموطّأ:" **أمّا هذا الصقع –يعني المغرب– فقد كفيتُه، وأمّا الشام ففيه الاوزاعيّ....**"[56].

2–الخوارج في بلاد المغرب الأوسط:

أما الخوارج فعلى الرغم من أنهم تمكنوا من تكوين دولتين بالمغرب هما: دولة بني مدرار التي أقامها الصفرية بسجلماسة سنة 140هـ / 755م والرستمية التي أقامها الإباضية بتاهرت سنة 161هـ / 777م،[57] فإنه يبدو أنها لم يبق لها في القرن الخامس أثر مهم وخاصة بالمغرب الأقصى. بالنسبة للإباضية، تجب الإشارة إلى تأسيس الإمامة في البداية في منطقة طرابلس وجبل نفوسة على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (140–144 هـ/757–761م) وفي المرحلة الثانية ،كانت الإمامة العظمى بتاهرت على يد عبد الرحمان بن رستم التي تحوّلت إلى تنظيم وراثي قوامه السلالة الرستمية.[58] وتنسحب نفس الملاحظة على الجماعة الصفرية التي نجحت في تأسيس الإمامة بسجلماسة في

---

[55]. عمر الجيدي، المرجع السابق،ص16.

[56].عبد العزيز بن صالح الخليفي، **الإختلاف الفقهي في المذهب المالكيّ(مصطلحاته وأسبابه)**، ط1، (د.ط)، 1993م، ص110.

[57] محمود اسماعيل عبدالرزاق،**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة ،ط2،الدار البيضاء ،المغرب،1985م،ص24ومابعدها.

[58] أبو زكريا يحي،**سير الأئمة وأخبارهم**،تح،اسماعيل العربي،دار الغرب الإسلامي،ط.2،بيروت،لبنان،1982،ص40–41.

جنوب المغرب الأقصى حيث احتكرتها سلالة بني واسول المكناسية. تجدر الإشارة إلى نجاح الجماعة الزيدية العلوية في تأسيس مجموعة من الإمارات أهمها الإمارة الإدريسية في وليلى بالمغرب الأقصى التي أصبحت فاس عاصمتها، والتي تحالفت بشكل مباشر مع الجماعات المحلية المعتزلية في المنطقة التي جسدتها جماعة أوربة.[59] كما نجح ابن أخ إدريس بن عبد الله مؤسس السلالة الإدريسية وهو محمد بن سليمان الفارّ معه من معركة فخ في تأسيس إمارة انشطرت إلى 12 كيان سياسي ارتبط بما يعرف بالمدينة–الإمارة، والتي انتشرت في المغرب الأوسط من مغنية إلى غاية مدينة البويرة بالجزائر وتعرف لدى الدارسين بالإمارات العلوية.[60]

3–الشيعة في بلاد المغرب:

ولعل أكثر النحل تساقطا إلى المغرب هي الشيعة، وقد استطاعت هذه الفرقة تكوين دولة بإفريقية هي الدولة العبيدية، ولعل دنو موقعها هو الذي سهل قيام الشيعة البجلية بالسوس في القرن الثالث الهجري، بما كان من إفشائها للفكر الشيعي والتمهيد له في كامل منطقة المغرب.[61] وقد كان الزوال النهائي لهذه الدولة من إفريقية في القرن الخامس مؤذنا بانقشاع كل وجود شيعي ذي بال بالمغرب.[62] التجربة الإسماعيلية هي المعبّرة، والتي نجحت في تأسيس أهم وأقوى كيان سياسي في بلاد المغرب قبل القرن الخامس الهجري، حيث نجح دعاة الفرع الإسماعيلي من الجماعات الشيعية في الانتشار على تخوم إفريقية الغربية على مرحلتين: الأولى كانت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري، وهو الذي هيّأ الأرضية للداعي أبي عبد الله الذي أرسله داعي الدعاة باليمن ابن حوشب إلى التخوم الغربية للمقاطعة الإفريقية وتحديدا إلى مجالات كتامة بداية من 280

---

[59] محمد عيسى الحريري،**الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي،حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**،دار القلم للنشر والتوزيع،ط.3،1987،ص82.

[60] محمود اسماعيل،**دولة الأدارسة حقائق جديدة**،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر،ط.1،1991م،ص21.

[61] حسن ابراهيم حسن،**عبيد الله إمام الشيعة الاسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب**،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ط.1977م،ص77.

[62] فاطمة بلهواري ،**الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**،دار المسك للطباعة والنشر،الجزائر،د.ت،د.ط،ص29.

هـ/893م،[63] حيث نجح في نشر المذهب الإسماعيلي في المنطقة بعد نشاط دعوي كبير في إطار مجالس الحكمة، سمحت له من توسيع التصنيف الكتامي الذي كان حكرا على جماعات متخندقة في المنطقة الواقعة بين شمال مدينة سطيف وجيجل، ليوسعها تدريجيا نحو الشرق، ويضم إليها الجماعات المنتشرة على ضفتي وادي شال (الرمل) بما في ذلك مدينة قسنطينة.[64] كان هذا النجاح كبيرا إلى درجة تولي جماعات مختلفة صنّفها ضمن كتامة عدة مناصب عليا في هيكل الدعوة الإسماعيلية ووزعها بحسب دور كل جماعة على غرار بني سكتان وبني غشمان وجيملة ولهيصة ومتوسة، وكلها تشير إلى نجاح الداعي الإسماعيلي في نشر الدعوة رغم المعارضة الشديدة التي تلقاها في بداية الأمر من بعض مشايخ جماعات كتامة.[65] كان لنجاح الدعوة دوره في إنشاء تنظيم عسكري تمكّن على مراحل عديدة من السيطرة على المجالات الأغلبية بإفريقية وصولا إلى رقادة عاصمة هذه الإمارة الموالية روحيا للخلافة العباسية. وتجدر الإشارة هنا إلى الإصلاح العقدي الذي قام به الإمام الإسماعيلي المهدي الذي حوّل القلاع والمدن الإسماعيلية خلال المرحلة المعروفة لدى الدارسين بالخلافة الفاطمية إلى دور هجرة لتبرير نهاية تأجيل قيام الساعة بظهور "المهدي" وتبرير الطموح السياسي في محاولة للعودة إلى المركز عبر بناء مدن–دور هجرة مؤقتة قبل الوصول إلى الهدف المنشود وهو بغداد، وهذه القلاع والمدن هي ايكجان وتازروت والمهدية وصبرة المنصورية والقاهرة. كان نجاح هذه الجماعات باديا قبل منتصف القرن الخامس الهجري بفعل المتغيّرات الكبيرة التي أحدثها تواجد الإمامة الإسماعيلية ببلاد المغرب ثم عودتها إلى بلاد المشرق.[66]

4–المعتزلة:

وتذكر المصادر بعض الأخبار عن حضور المذهب الاعتزالي بالمغرب، لعل أهم مظاهره ما

---

[63] موسى لقبال ،**ملحمة أبي عبدالله الإيكجاني،مذهبية وتوحيد**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1990م،ص23.

[64] بوبة مجاني ،**الإسماعليون في بلاد المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران** ،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر ،ط.1،2014،ص15–16.

[65]محمد زينهم محمد عزب، **قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب**، د.ط، دار العالم العربيّ، مصر، 2012م، ص46.

[66]عبد الكريم جودت يوسف، **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 26–27.

عرف بالواصلية، فقد ذكر ابن حوقل أنه: "من البربر زناتة ومزابة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء".[67]

،ولعل ذلك من أثر تلك البعثة التي أرسلها واصل بن عطاء الغزال (ت131هـ / 748م) مؤسس المعتزلة، فقد "أنفذ إلى المغرب عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق، وهناك بلد تدعى البيضاء يقال إن فيها مائة ألف يحملون السلاح، ويعرف أهله بالواصلية".[68]

كما أنه نشأ تعاون بين هذه الفرقة وبين الأدارسة حيث "كان إسحاق بن محمد الأوربي معتزلي المذهب، فوافقه إدريس على مذهبه، وأقام عنده، وأمر إسحاق قبيلته بطاعته وتعظيمه".[69]

ولكن هذا الحضور المكثف للمعتزلة الذي وصفه البلخي والذي كان ناشئا عن تشجيع دولة الأدارسة لم يعمر طويلا، ولا نعثر في الفترات التالية إلا على أخبار تتعلق بأفراد رجعوا من المشرق وقد استهوتهم آراء المعتزلة فاعتنقوها وحاولوا الدعوة إليها، ولكنها بقيت تكتسي الصبغة الفردية دون أن تؤول إلى تيار عام.[70]

ومن هؤلاء الأفراد رجل اسمه عبد الأعلى أبو وهب بن عبد الرحمن، وكان يطالع كتب المعتزلة، الأمر الذي جلب له النكير والطعن من يحيى بن يحيى الليثي (234هـ / 849م) وابن حبيب (238هـ / 790م). ومنهم إبراهيم بن عبد الله بن حصن بن حزم الغافقي (ت 404هـ / 1013م) الذي قيل عنه إنه المالكي الوحيد الذي يذهب إلى الاعتزال، وكأنه لم يجد بالمغرب مناخا مناسبا له فارتحل إلى المشرق وتوفي بدمشق.[71]

---

[67] محمد الصالح مرمول،**السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب**،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،1984،ص150.

[68] محمد غزالي،**المعتزلة وآراؤهم الفكرية والعقدية في بلاد المغرب من منتصف القرن 2هـ إلى القرن4هـ**،مجلة عصور،العدد2016،21،ص173.

[69] عبد العزيز المجدوب،**الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية**،ط1،دار سحنون،تونس،2008،ص93.

[70] محمود اسماعيل،**الأدارسة في المغرب الأقصى**،ط.1،مكتبة الفلاح،الكويت،1989،ص12.

[71] محمد عبد الحليم بيشي،**الاعتزال في الغرب الإسلامي**،مجلة البحوث،ع.9،ج.1،جامعة الجزائر،ص253.

المحاضرة الخامسة

المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الأوسط:

أولاً: المراكز التعليمية في تيهرت الرستمية:

1-المساجد.

2-الكتاتيب.

3-المكتبات.

ثانيا: المؤسسات التعليمية في العهد الحمادي:

1-المساجد.

2-الكتاتيب.

3-المعاهد.

4-المكتبات.

5-الزوايا.

ثالثا: المراكز التعليمية في العهد الزياني:

1-المساجد.

2-الكتاتيب.

3-الزوايا.

4-المكتبات.

5-المدارس.

تمهيد:

كان للمؤسسات التعليمية دور فعال في النشاط الثقافي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي، حيث حظيت هذه المؤسسات برعاية الأئمة الرستميين من خلال بناء المساجد و المكتبات ، و جلب العلماء للتدريس بها ، و عقد الحلقات و المجالس علمية.

أولا- المراكز التعليمية في تيهرت:

1-المساجد:

لعب المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية في تاهرت ، حيث يعد مركزا هاما في تفعيل النشاط العلمي و تلقي مختلف العلوم ،لذا حرص الرستميون على الحفاظ عليه كونه ذو مكانة. عالية في نفوس المسلمين يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا فقد كانت تعقد فيها حلقات العلم،وتميزت الدراسات التي تلقى بالمساجد بالدراسات الدينية لشرح تعاليم الدين الجديد. لقد شغف الأئمة الرستميين بالعلم فاهتموا به ، و من هنا جاء حرصهم على إنشاء المؤسسات العلمية تشجيعا منهم للعلم و العلماء.[72]

فقد اهتم الإمام عبد الرحمن بعمارة الدولة الرستمية حتى تكون قادرة على العطاء العلمي و تؤدي دورها الحضاري كغيرها من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ، و كما هو معلوم فإن المسجد في ذلك الوقت يعتبر هو الجامعة التي تخرج العلماء [73]، فلم يغفل الإمام عبد الرحمن على أهمية المسجد و دوره الفعال في النهضة العلمية ، فكان المسجد أول ما بناه في دولته ثم أخذ في تعمير تيهرت و كان يقيم فيه حلقة للعلم يتولى التدريس فيها بنفسه.[74]

ما عرف عن الدولة الرستمية الحرية الفكرية و الدينية ، فلم يقمع المخالفين للمذهب الاباضي فكانت لهم بيوتهم و مساجدهم الخاصة التي يعرفون بها ،حيث قال في ذلك إبن

---

[72]عبد الله عبد الدائم ،**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين** ، دار العلم للماليين ، بيروت ، ط1،1970،ص153-154.

[73] محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية ،2010 ، ص329.

[74]بن الذيب عيسى، **الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر،2011، ص143.

الصغير :"وأتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و الأقطار ، فقال : ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم و ابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد و حسن سيرة إمامهم و عدله في رعيته و أمانة على نفسه و ماله ، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري ، و هذه لفلان القروي ، و هذا مسجد القرويين و رحبتهم ، و هذا مسجد لبصريين ، و هذا للكوفيين..."[75]

كما انتشرت في الدولة الرستمية من كان لهم مسجد خاص به كمسجد الذي بناه أبي مرداس مهاصر السدراتي ، الذي بلغ في العلوم النهاية حيث كان له مسجد في كهف يتعبد به.[76]

و من الأئمة الرستميين الذين حولت مجالسهم كالمساجد الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح ، فمن حبه للعلم و دعمه له جعل مجلسه كالمسجد طائفة يصلون و طائفة يقرؤون القرآن وطائفة يتذاكرون في فنون العلم.[77]

2-الكتاتيب:

الكتاتيب مفردها كتاب وهو موضع التعليم يتعلم به الصبية، و تعتبر هذه الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الابتدائي في العصر الوسيط، كان انتشارها في المغرب مع قادة الفتح الإسلامي ، فبعد اختطاط القيروان أول ما أنشأوا ا الدور و المساجد ، التفتوا بعدها إلى تعليم الصبيان فاتخذوا محلا "كتابا" بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن.[78]

لم تكن هذه الكتاتيب دارا كبيرة و إنما هو مكان متواضع ، يتسع لعدد من الصبيان يشرف عليهم معلم، يتعلم فيها الصبي القرآن و الكتابة و العربية ، و قد يتعلم الحساب و الشعر و أخبار العرب ، على أن أهم ما يدرس الصبي هو حفظ القرآن.[79]

---

[75]ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين** ،تحقيق و تعليق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1986 ، ص36.

[76]الشماخي ،**السير**، تحقيق أحمد بن مسعود السياحي ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، الجزائر،1992،ج1، ص 151.

[77]ابن الصغير ، نفسه، ص98. أحمد سعيد الدرجيني،**طبقات مشائخ المغرب** ، تحقيق إبراهيم طلاي ، ج1 ،ص 83. الفيروز أبادي : **القاموس المحيط** ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة،2008،ص1392.

[78] محمد بن سحنون ،**آداب المتعلمين** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس،1972،ص33.

اهتمت الدولة الرستمية اهتماما بالغا بالعلم و العلماء فقامت بإنشاء الكتاتيب لتدريس الطلاب، التي ستسمح لهم بالاستفادة منهم مستقبلا في مختلف مجالات العلوم.

اهتم الائمة الرستميين بطلب العلم منذ الصغر فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الامام الثاني للدولة الرستمية كان من كبار العلماء و كان شغوفا بالعلم منذ صغره حيث أنه تلقى العلم بتيهرت على يد أبيه إمام عبد الرحمن،[80] الذي اشتغل هو الآخر بالتدريس فقد تخرج على يديه كثير من طلاب العلم و من ضمنهم ابنه أفلح.

كذلك ذكر الإمام محمد عن أبيه أفلح أنه قعد عليه قبل بلوغ الحلم ثلاث حلق يتعلمون فنون العلم من الكلام و اللغة و الفقه.[81]

3-المكتبات:

إن اقتناء الكتب و حركة التأليف دلالة واضحة على مدى نشاط حركة الفكر و تطورها فقد و من هنا زادت حركة النسخ . برز في تلك الفترة الكثير من العلماء في شتى ميادين العلم للكتب و نقلها من المشرق إلى المغرب و من ذلك ما فعله الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن حين أرسل ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا ، فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا فسهروا على نسخها و بعثوا له أحمالا منها فكانت وقرا أربعين جملا فبعثوا بها إليه.[82]

فكانت النواة الأولى نحو تكوين المكتبة التي اشتهرت فيما بعد في تاهرت باسم " مكتبة المعصومة " التي تذكر المصادر أنها ضمت حوالي ثلاثمائة ألف مصنف في مختلف فنون العلم و يذكر أن أغلب كتبها من تأليف علماء و أئمة المذهب الإباضي مع وجود كتب أخرى في مجالات مختلفة، و منها المدونة التي قام الشيخ عمروس بنسخها عن مدونة أبي غانم الخرساني بمساعدة أخته.[83]

---

[80]محمد علي دبوز، المرجع السابق ، ص 401.

[81]الشماخي،المصدر السابق،ج1،ص189.

[82]الدرجيني : المصدر السابق ،ج1 ،ص 56.

[83]الدرجيني: نفسه ، ج2 ، ص 323.

إلا أن هذه المكتبة لم يبق لها أثر حاليا ، فتذكر المصادر أن بمجرد دخول الفاطميين إلى تيهرت قاموا بحرقها خاصة الكتب التي لها علاقة بالمذهب الإباضي و يبين هذا مدى العداء الشيعي للمذاهب الأخرى.[84]

ثانيا : المراكز التعليمية في العهد الحمادي :

عرفت الحياة الثقافية و الفكرية ببجاية خلال الفترة الحمادية انتشارا واسعا للمؤسسات الدينية و التعليمية، التي ظلت طيلة هذه الفترة تؤدي دورا تعليميا وتثقيفيا بارزا ومن هذه المؤسسات المساجد ، الكتاتيب ، المعاهد ،المكتبات ، بالإضافة إلى الزوايا.

1-المساجد:

يمثل المسجد المؤسسة التعليمية الاولى في الدولة الإسلامية ، و بجاية كغيرها من حواضر المغرب الاسلامي عرفت انتشارا لهذه المؤسسة الدينية و التعليمية منذ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول هجري ،خاصة في العهد الحمادي لاسيما في عهد الناصر بن علناس الذي بنى فيها حوالي72مسجدا.[85]

لقد لعب المسجد دورا تعليما هاما حيث يذكر انه لم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسين، كما كان لبعض العلماء مساجد خاصة مثل مسجد الفقيه "أبي زكريا الزواوي"الذي يقع في قصر اللؤلؤة ببجاية و "كان يجلس فيه ، و كان يدرس به الشيخ "أبي مدين شعيب كان يفتي فيه مسائل مختلفة.[86]

إن المساجد كانت على رأس المؤسسات التعليمية التي ساهمت في انتشار الثقافة في بجاية وهذه المساجد تنقسم إلى أنواع أولها ، مساجد الأحياء بالمدن و يتكفلون بالإنفاق والتسيير ،و الإشراف على التدريس بها الرعية.

---

[84]الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ،ص 95.

محمد محمدي :"**المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي**"، حوليات التراث،

[85]العدد13،2013ص89.

[86]شهاب الدين أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت،1988،مج7،ص136-137.

و ثانيها، المساجد الكبرى التي تشرف الدولة على رعايتها و النظر في تعيين أئمتها. حرص الأمراء الحماديين على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية و التعليمية ، كما تجلت هذه العناية بالعلماء و الفقهاء و يستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية و الأندلسية ليدرسوا بها.[87]

لقد ساهمت المساجد ببجاية في تطوير الحركة التعليمية و من بين أشهر المساجد نذكر:

الجامع الاعظم: يعود بناؤه إلى القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي خلال فترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي(400هـ-430هـ) ، شيد بجانب قصر اللؤلؤة و كان هذا ذراعا ، 751المسجد من أجمل المساجد رائعا في هندسته يبلغ طوله 771ذراعا ، و عرضه له واجهة مزينة ب 01 عقدا ، و باب كبير على يمينه و يساره ، و قبة عظيمة.[88]

ظل هذا المسجد مركزا للعلماء و مقصدا لطلاب العلم حيث كانت تدرس به مختلف العلوم العقلية و النقلية ،في شكل حلقات أشرف عليها جلة من العلماء مثل أبو محمد عبد الحق الإشبيليله ديوان شعر في الوعظ حدث له ببجاية 516هـ.[89]

والمهدي ابن تومرت الذي دخل بجاية في رحلته نزل بمسجد الريحانة و كان كثير ما من الفقهاء يأتونه لطلب العلم منه،فسار الإمام بن تومرت إلى ملالة و هي قرية ببجاية فل رأوه بنو العزيز قالوا له يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا ، فقال لهم:إن شئتم ، فبنوا له مسجدا وأقبل الطلبة يصلون إليه من كل مكان يقرأون العلم عليه. و من أشهر المدرسين في حاضرة بجاية أيضا "أبا الفارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف" ، فكان له درس بين الصلاتين ، و درس بين العشائين ، و كلها دروس مشهورة.[90]

---

[87]الحسن أسكان : **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط** ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ،الرباط،2004،ص77.

[88]رشيد بورويبة : **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1977، ص208.

[89]أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق و تعليق عادل نويهض ، دار ألفاق الجديدة ، بيروت ، ص12.

[90]أبو بكر علي الصنهاجي البيذق :**أخبار المهدي بن تومرت** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط،1971،ص13-14.

دأب على هذا مدة طويلة ، واقتصر بعده على التدريس بالجامع الأعظم بين الصالتين و درس عليه العلم خلق كثير و انتفعوا بها حتى أن الغبريني يذكر أنه سمع منه كثير و قرأ عليه "الموطأ"بالجامع الأعظم.[91]

2-الكتاتيب:

الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الابتدائي ،التي انتشرت في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي، حيث عرف هذا النوع من المؤسسات التعليمية في بجاية باسم "الشريعة"" و من المحتمل أنه كان يحل محل الكتاب فهو عبارة عن خيمة تنتشر خاصة في البادية،وما يلاحظ في هذه المؤسسة التعليمية أنها لم تحظ بدعم من البلاط الحاكم، بل كانت تتمتع بنوع من الملكية الخاصة.[92]

3-المعاهد:

ظهر هذا النوع من المؤسسات التعليمية في المدن الكبرى و هي نوع من التعليم العالي ، أنشأه ""**الناصر بن علناس**"في بجاية تحت اسم " معهد سيدي التواتي " و يذكر أنه كان يضم على ثلاثة ألاف طالب ، و هذا راجع لكثرة العلماء و الطلبة الذين كانوا في بجاية من أبناءها و حتى من خارجها ، كما كانت تدرس فيه كل المواد بما فيها العلوم الفلكية و خلال مؤتمر علمي ألقت تلميذة من هذه الجامعة محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء حتى الأجانب. نلاحظ أن في هذا المعهد كان مرخصا للفتيات بالتعليم فيه و إلقاء المحاضرات و خلال حكم العزيز كان يحاضر في جامعة سيدي التواتي علماء من إسبانيا و إفريقية و بلاد الشرق.[93]

4-المكتبات:

اهتمت الدولة الحمادية بإنشاء المكتبات، حيث عرف فيها وجود هذا النوع من المراكز التعليمية الهامة في تلك الفترة، حيث عرفت بجاية مكتبات فقد كان بجامع المنار بالقلعة

---

[91]الغبريني : المصدر السابق، ص63.

[92]عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد** ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1991،2ص253.

[93] عبد الحليم عويس ،نفسه ، ص254.

مكتبة مليئة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب، هذا ما يبين لنا اهتمام الحماديين باقتناء الكتب و تجميعها في المكتبات.[94]

5-الزوايا:

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم لدى المجتمع البجائي، فالزاوية هي ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد حيث يجمع بين الوظيفة التعليمية التربوية و الدينية ، اهتم بإنشائها أهل الخير و رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة فبالإضافة إلى الدور التعليمي الديني فقد كان يعد مكان يأوي المسافرين و يطعمهم.[95]

و من الزوايا التي انتشرت في بجاية زوايا المزار و هي التي تثوي قبر ولي من الأولياء الصالحين يقصدها الناس لزيارة و التبرك . كذلك هناك زوايا يتوالها شيخ الزاوية يتم فيها تعليم الطلبة أمور دينهم كما يرددون فيها الذكر و التلاوة، و يرتبط ظهور الزاوية في بجاية بظهور ظاهرة التصوف فأصبحت الزوايا قطبا يقصدها المتصوفة . حيث عملت على نشر و ترسيخ الفكر الصوفي.[96]

أدت الزوايا في حاضرة بجاية أدوارا بارزة و مهمة أهمها الدور التربوي و التعليمي تمثل في استقبال طلاب العلم و المعرفة و نشر التعليم بفضل شيوخها المتمكنين في شتى العلوم ، حيث عملت على تحفيظ القرآن الكريم و نشر اللغة العربية دون إهمال مختلف العلوم الأخرى.[97]

في الأخير اعتبرت الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم و تعميمه لدى شرائح المجتمع البجائي.

---

[94]عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص140.

[95]عبد الكريم عزوق : **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نوحيها** ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر،2007-2008ص،74.

[96]محمد محمدي :"**المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي**"، حوليات التراث،العدد 13،2013ص 95-96.

[97] محمد محمدي،،نفسه،ص98.

ثالثا : المراكز التعليمية في العهد الزياني:

تعد المراكز التعليمية من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في مدينة تلمسان ، باعتبارها حاملة فقد عرفت حاضرة تلمسان كغيرها من حواضر .لمختلف العلوم وجالبة العلماء وطالبي العلم المغرب الإسلامي المؤسسات المتداولة لطلب العلم كالمساجد والكتاتيب والمكتبات إلا أن في العهد الزياني ظهرت مؤسسة أخرى عرفت انتشارا واسعا ألا وهي المدارس.

1-المساجد:

لقد تحدثنا فيما سبق عن المسجد ودوره الفعال في مختلف مجالات الحياة منها السياسية والاجتماعية والدينية للدولة الإسلامية وكيف كانت هذه المؤسسة التعليمية تحظى بحظ وافر من العناية و الاهتمام من قبل الحكام والعلماء والطلبة.[98]

اشتهرت تلمسان بعدة مساجد أدت دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية التي بنيت في عهود مختلفة كالعهد الإدريسي و المرابطي، ومن أهمها مسجد أغادير الذي بناه إدريس الاول ، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى فبعدما غزا إدريس الأول تلمسان واختط مسجدها ، وصنع منبرها الذي كان مكتوب عليه ""هذا ما مر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة"".[99]

أما صومعته فبناها ""يغمراسن بن زيان""" الذي استأذن في كتابه اسمه عليه ، فقال« علم ذلك عن""" وذلك من أهم مساجد المغرب الأوسط ، المسجد الجامع أو الأعظم بتلمسان بناه يوسف بن تاشيفن المرابطي سنة 473هـ، وعدله ابنه علي بن يوسف، وهو عبارة عن تحفة فنية رائعة ،عليه مسحة أندلسية.[100]

وقد أضيفت له زيادات عديدة ،كالصومعة في عهد يغمراسن بين 662هـ و 668هـ، وكان لهذا المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد بن زيان كما

---

[98]رشيد بورو يبة، ""**جولة عبر مساجد تلمسان**"مجلة الأصالة ، العدد26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان،2011،ص17.

[99]ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 50.

[100]يحي ابن خلدون : **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد** ، الجزائر ، 2003 ، ج1، ص 207؛ محمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، موفم للنشر الجزائر ،2011، ص 125.

كانت هناك مساجد أخرى كمسجد"" ابني الإمام" الذي بناه أبو حمو موسى الأول ومسجد """إبراهيم المصمودي""" الذي قام بتأسيسه أبو حمو موسى الثاني.[101]

كما أنشا أبو الحسن المريني عدة مساجد كجامع القصبة الذي قال فيه ابن مرزوق الخطي (ت782هـ/ 2374م):""" أنه كان يشتمل على محاسن لم تجتمع في مثله ، من حسن وضعه و جمال شكله ، وجامع سيدي مدين (جامع العباد) الذي اتصف هو الآخر بالحسن. و إضافة إلى هذه المساجد، كانت هناك مساجد أخرى كثيرة ، أدت أدوارا هامة في المجال الثقافي والعلمي ، حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أنه كان بمدينة تلمسان وحدها حوالي ستين مسجدا.[102]

وفي هذه المساجد تبدأ المرحلة الثانية من التعليم التي تلي مرحلة الكتاب ، فبعد ما يكون الطالب قد حفظ القرآن ومبادئه ، تأتي مرحلة تخصص الطالب في علم معين على يد شيوخ وعلماء بارزين ، ففي هذه المرحلة للطلبة الحرية في اختيار مواد الدراسة والأساتذة ، مع التأكيد على تفضيل مادة الفقه عن غيرها من المواد ما يؤكد على ذلك الونشريسي بقوله:« من لا يعرف الفقه لا يعرف غيره"""[103] المغرب كما كان للتوجه المذهبي والسياسي للدولة دور في تحديد مضمون البرامج الخاصة ، فقد تدخل الأمراء الزيانيون أحيانا لمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي.[104]

فإن المواد المدروسة عمليا في المساجد التلمسانية ، موزعة بين مختلف العلوم من علوم كما اهتم الحكام الزيانيون بالبحث وجلب مدرسين أكفاء ومحاولة . دينية وعقلية و طبيعية استقطابهم للتدريس بمساجدها، فقط طلب الحاكم "يغمراسن" من العالم أبي إسحاق بن يخلف

---

[101]عبد العزيز فيلالي : **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم للنشر ، الجزائر،2007 ، ج2 ،ص 147.

[102]محمد بن مرزوق التلمساني : **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن موالنا أبي الحسن** ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوسبيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1981،ص402-403.

[103]أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب** ، اشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،1981،ج8،ص252.

[104]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج1 ،ص344-345.

التنسي سنة 680هـ القدوم والتدريس بالجامع الأعظم وكان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم وكذلك محاولة أبا حمو موسى الثاني باستقدام العلامة ابن خلدون.[105]

2-الكتاتيب:

كان الكتاب أهم المؤسسات التعليمية التي يتلقى فيها الصبي مبادئ العلوم وبخاصة حفظ القران الكريم، والكتاب أول أمره مكانا في المسجد في زاوية من زواياه ، وبعد ذلك انفصل في أماكن مستقلة ، فقد كره كثير من الفقهاء تعليم الصبيان في المساجد.[106]

يرى ابن سحنون أن مواد الدراسة الأساسية تشمل إعراب القرآن والشكل والهجاء ، والخط الحسن ، القراءة الحسنة ، ترتيل القرآن ، ومواد إضافية تشمل الحساب والشعر والعربية وكلام العرب و أخبارهم،[107]إلا أن أهم مواد الدارسة بالكتاب هو القرآن الكريم ، وقد علق ابن خلدون على ذلك بقوله: « هو مذهب حسن ، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك الأحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم القرآن، ... وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الأفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ... فربما عصفت به رياح الشبية ، فألقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن له ، لئلا يذهب خلوا منه ، ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم ، لكان هذا هو المذهب ... أول ما اخذ به أهل المغرب.""[108]"

و أفادت إحدى الأبحاث أن هذه الطريقة كانت سائدة في العهد الزياني منذ القرن الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي ، ولكنها تغيرت بوصول علماء الأندلس إليها واستقرارهم فيها وامتهانهم التعليم [109]ذلك أن أهل الأندلس :« أفادهم التفنن في التعليم و كثرة رواية الشعر و الترسل ، و مدارسة العربية من أول العمر ، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان

---

[105]بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني(633هـ-962هـ)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين،2006،ص225-226.

[106]الونشريسي :المصدر السابق ، ج7 ، ص 83.

[107]محمد بن سحنون : المصدر السابق .ص 102.

[108]عبد الرحمن ابن خلدون: **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصر هم من ذوي الشأن الأكبر** ، دار الفكر، بيروت ، ج1 ، ص 742-743.

[109]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج2 ، ص 346.

العربي ، و قصروا في سائر العلوم ، لبعدهم عن مدارسة القرآن و الحديث الذي هو أصل العلوم و أساسها ، فكانوا كذلك أهل خط و أدب بارع أو مقصر ، على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا."[110]

و بذلك يدخل الصبيان مرحلة جديدة مختلفة كل الاختلاف في مناهجها و موادها التعليمية عن مرحلة الكتاب.

3-الزوايا:

الزاوية في الأصل ركن البناء ، و يطلق مصطلح الزاوية على بناء أو طائفة من الابنية ذات طابع ديني ، حيث تتميز بأنها ذات طابع ديني و ثقافي و اجتماعي إذ تحتوي على غرفة للصالة ، و غرفة لتلاوة القرآن و تحفيظه ، و غرف مخصصة لضيوف الزاوية و للحجاج و للمسافرين و الطلبة.[111]

فقد لعبت الزوايا دورا لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط و نظرا لدوره الكبير في مجال التعليم فقد حظيت باهتمام كبير من قبل حكام الدولة الزيانية من خلال العناية بها و الأنفاق عليها و إكرام شيوخها ، و التبرك بهم في حياتهم و حتى بعد وفاتهم ، مثلما كان يفعل السلطان يغمراسن بن زيان مع الكثير من المتصوفة، إلى جانب زاوية الأمير أبي يعقوب التي بناها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده ، بجانب المدرسة اليعقوبية ،وزاوية الحسن بن مخلوف الملقب بأبركان بتلمسان.[112]

كما تحدث الشيخ الإمام قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني عن جماعة من الفقراء يجتمعون بأثر صالة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه ، و يصف العقباني ما يحدث فيها فيقول :""" ... يجلس هذا الشيخ على يمين الداخل لمجلسهم ، يسبحون و يهللون ...ثم ينتقلون للصالة و السالم على رسول اهلل ، ثم يختمون ذلك بالسالم على سائر المسلمين و

---

[110]عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج2 ، ص 742.

[111]محمد نسيب :**زوايا العلم و القرآن** ، دار الفكر ، الجزائر ، ص27.

[112]يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 122.

الحمد هلل ، ثم يقرأ منشدهم شيئا من كتاب اهلل ...فيصلون ... ثم يذكرون بعد ذلك أنواعا من الأذكار...و الدعاء و الاستغفار""""".[113]

يعد هذا الوصف الذي ذكره الإمام سعيد العقباني مهما لأنه يعطي لنا صورة واضحة عن نشاط هذه الزوايا في المجال التعليمي و إن انحصر في الجانب الديني فقط عن نشاط هذه الزوايا في المجال التعليمي.

4-المكتبات:

أعطى حكام بني زيان عناية كبرى لإنشاء المكتبات العامة و تزويدها بالكتب الضرورية لكي تؤدي مهمتها التعليمية ، حيث ظهرت أسواقا للكتب و المكتبات العامة و الخاصة [114]،و من مظاهر اهتمام حكام تلمسان بالمكتبات ، العمل على إنشائها و كان ذلك داخل المساجد و المدارس[115] و منها:

المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني داخل المسجد الكبير سنة 760هـ""أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو ابن الأمراء الراشدين أيده الله أمره و أغر بصره و نفعه كما وصل و نوى و جعله من أهل التقوى، وكان الفراغ من عمله في يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة من عام 760 هـ""".[116] كما احتوت مدارس مدينة تلمسان العديد من المكتبات و خاصة مكتبة مدرسة أولاد الإمام.[117]

5-المدارس:

إن المؤسسات التعليمية من العوامل الهامة التي أثرت في الحياة العلمية في المغرب الإسلامي ، فكان لابد أن تعرف تطورا عبر الأزمنة لتواكب تطور العلوم و إقبال العلماء

---

[113]الونشريسي : المصدر السابق ، ج22 ، ص48-49.

[114]كمال مصطفى : **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوى المعيار للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996 ،ص122.

[115]محمد بوشقيف : **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2011 ، ص 69.

[116]محمد بوشقيف :المرجع السابق ، ص 70.

[117]عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 183.

عليها ، فمن المؤسسات الجامعة للدور التعليمي و غيره كالديني و الاجتماعي نجد المساجد و الزوايا إلى مؤسسة تعليمية نظامية عرفت أهمية كبيرة و دور تربوي تعليمي متميز ألا و هي المدارس.

المدرسة هو مكان تلقى فيه الدروس ، إن المدرسة كمؤسسة تعليمية جديدة ظهرت في المشرق خلال القرن الخامس هجري،[118] عرف هذا النوع من المرافق التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور و ذلك بتشييد المدرسة البيهقية في أوائل القرن الخامس هجري ، لكن مع هذا أجمعت الدراسات التاريخية أن الإنشاء الحقيقي للمدارس و اهتمام الدولة بها لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي " نظام الملك " الذي بني المدرسة النظامية ببغداد.

أما في المغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي ، حين قلد بنو زيان حكام بني مرين في تشييد المدارس و الاعتناء بها ، فسعى بنو زيان من وراء بناء المدارس في مختلف مدن المغرب الأوسط إلى توجيه الرعية التعليم فيها المذهب المالكي من أجل الوحدة السياسة المذهبية.[119]

و من المدارس التي ذاع صيتها في تلمسان الزيانية ، و استثنينا ذكر المدارس التي شيدها بنو مرين في تلمسان:

***مدرسة ولدي الإمام:**

كانت نشأتها على يد السلطان أبي حمو موسى الأول ، و عرفت باسم مدرسة الأخوين ابني الإمام و ذلك سنة 720 هـ / 1320 م ، فقد أنشأها تكريما للعالمين الجليلين الفقيهين أبي زيد عبد الرحمن وأخيه أبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد ابن الإمام و اللذان دخلا تلمسان في عهد هذا السلطان فأكرمهما[120] ويقول التنسي عن ظروف و

---

[118]الحسين أسكان : المرجع السابق ، ص 56.

[119]صالح بن قربة : **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007 ، ص140.

[120]LachachiAmira , « Médersas Mérinides : Al Bou Inaniyya de Fès sidi Boumediene de Tlemcen–Etude comparative ,Mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère spécialité archéologie du Maghreb islamique , université Abou bekrbelkaid ,Tlemcen,2013,p42.

هدف تأسيسها : " ... كان محبا للعلم و أهله معتنيا به قائما لحقه ، ابتنى مدرسة لابني و في إشارة إلى المدرسة يقول ابن مريم :" وبنيت المدرسة " الامام تكريما لهما و احتفاء بهما داخل باب كشوط ابني الإمام و شيخا المالكية فضلاء المغرب في وقتهما.[121]

***المدرسة التاشفينية:**

تعد المدرسة التاشفينية ثاني مؤسسة تعليمية زيانية أسست في بلاد المغرب الاوسط بناها أبي تاشفين عبد الرحمن الأول (728 –737 هـ / 2328 –2337 م) ، الذي خلد أثارا عديدة ، حيث كان مولعا بالبناء و التشييد ، و يقول التنسي عن مآثر الحاكم : « و حسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير ، التي بناها بإزاء الجامع الاعظم"""[122]تم تدشينها في شهر صفر سنة 762 هو تقع التاشفينية بإزاء المسجد الجامع جنوبا و هي بذلك توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الثاني هجري.[123]

ظلت هذه المدرسة التي كانت تعد من أجمل مدارس المغرب الأوسط تؤدي رسالتها التعليمية و الثقافية طوال فترة الدولة الزيانية من بين المصادر القليلة التي أشارت إلى التاشفينية و تغنت بها ، نذكر كتاب نفح الطيب للمقري الذي ضمن بعض الأبيات الشعرية التي رآها رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء في مدرسة " :منقوشة بأعلى دائرة مجرى الماء، فيقول تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني و هي من بدائع الدنيا.[124]

اهتم الحاكم " عبد الرحمن أبي تاشفين " اهتماما بالغا بهذا المعلم الحضاري من خلال جلب إليه العلماء الأجلاء أمثال أبي موسى عمران المشدالي الذي كان من أكبر فقهاء المالكيين في عصره ، الذي واله التدريس بمدرسته الجديدة غير أن هذه المدرسة طمست أثارها و لم

---

[121]التنسي : المصدر السابق ، ص139.

[122]رشيد بورويبة : جولة... ، المرجع السابق، ص 181.

[123]التنسي : المصدر السابق ، ص141.

[124] المقري :**المصدر السابق** ،مج6 ،ص47.

يبقى من ذكرها إلا الاسم ،وقد كانت هذه المدرسة قائمة محافظة على شكلها لغاية 1873 م ،عندما قامت السلطات الاستعمارية بإزالتها.[125]

***المدرسة اليعقوبية:**

أسسها الحاكم الزياني أبو حمو موسى الثاني (760- 742 هـ / 2328- 2888 م تخليدا لأبي يعقوب الذي أدركته الوفاة (763 هـ / 2362 م) و كان أبي حمو الثاني قد أمر بدفن أبيه في" باب ايلان" ثم نقل إلى جواره أخويه السلطانين " أبي سعيد و أبي ثابت اللذان توليا حكم تلمسان في الفترة السابقة ،فجاءت هذه المدرسة لتخلد أسماء العلماء و " الحكام و لتدل على مكانة علمية و فكرية راقية في تلك الفترة.[126]

قدم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني الذي كان بارعا في إلقاء الدروس حتى أن أبو حمو كان يحضر مجلس إلقاءه جالسا على الحصير إكراما للعلم لقد فقدت هذه المدرسة الكثير من ملامحها ، و لم يبقى منها إلا مسجدا سمي فيما بعد سيدي براهيم المصمودي " المتوفى سنة 804 هـ / 1402 م.[127]

---

[125]التنسي : المصدر السابق ، ص 141.

[126]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج1 ص 243.

[127]عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص182.

المحاضرة السادسة

العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الأوسط:

عناصر المحاضرة

أولا: العلوم والعلماء في تيهرت الرستمية:

1-العلوم الدينية:

2-العلوم الإجتماعية والعقلية.

3-علم الطب والصيدلة .

ثانيا: العلوم والعلماء في العهد الحمادي:

1-العلوم النقلية.

2-العلوم العقلية.

3-العلوم الإجتماعية.

ثالثا: العلوم والعلماء في العهد الزياني:

1-العلوم الدينية.

2-العلوم الإجتماعية والعقلية

3-علم الطب والصيدلة.

أولا: العلوم و العلماء في تيهرت الرستمية:

كانت الدولة الرستمية دولة علم و ثقافة ، فنجد تاهرت قد تبوأت مكانة ثقافية هامة إلى جانب مكانتها السياسية باعتبارها عاصمة دولة ، و يعود الفضل إلى ذلك التطور الثقافي إلى عناية الرستميين بالعلم و مختلف العلوم ، و التعمق فيها من خلال اهتمام الأئمة الرستميين بها و تكريس حياتهم للعلوم و نشرها إلى جانب مهمتهم السياسية.فاعتبروا من فحول العلماء و المفكرين الذين شاركوا مشاركة فعالة في ازدهار الحركة العلمية إلى جانب العلماء الآخرين.

و من أهم العلوم البارزة في تيهرت و أبرز روادها نذكر:

1:العلوم النقلية:

حظيت العلوم الدينية بمختلف فروعها كعلم التفسير و الحديث و الفقه بقسط كبير من عناية الرستميين ، ويعود هذا الاهتمام بهذه العلوم إلى طابعهم القائم على أسس دينية لتبنيهم للمذهب الإباضي فحَّمل الأئمة الرستميين الناس على التمسك بالقرآن و السنة و عملوا على نشر مبادئ المذهب الإباضي من خلال تسامحهم المذهبي و عقدهم للمناظرات.

من أهم العلوم الدينية المنتشرة في تيهرت في العهد الرستمي نجد:

-**التفسير**:القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف ، و بما أنه مصدر التشريع بالنسبة للمسلمين فقد اهتموا بتفسيره من خلال معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة لتوضيح لشرح معانيه.[128]فمن خلال الأهمية الكبيرة لهذا العلم ، حرص علماء تيهرت على تفسير أحكام القرآن الكريم و جاء اهتمامهم بهذا النوع من العلوم للرد على المخالفين من خلال المناظرات التي كانت تقام في تيهرت.

[128]ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ،ص 555.

في عهد الإمام عبد الوهاب ثاني الأئمة الرستميين ظهرت فرقة سميت "بالواصلية"[129]فلما رأى الإمام ما نزل به منهم" أرسل إلى أهل نفوسة يستمدهم طالبا منهم جيشا يكون فيهم رجل مناظر عالم بفنون الرد على المخالفين و رجل عالم بفنون التفسير..."[130]

و كان الرجل محمد بن يانس الذي قدم تاهرت و قال الإمام:"وأنا كفيتك تفسير القرآن قد أخذته عن الثقات"". كما يذكر أنه كان للإمام عبد الرحمن بن رستم كتاب في التفسير،غير أن ابن الصغير يفند هذا الخبر بقوله:"لم يكن لعبد الرحمن كتاب معروف من تأليفه."[131]

من المؤلفات نجد كتاب في التفسير للشيخ ""هود بن محكم الهواري"" من علماء القرن الثالث هجري ، و يقع هذا التفسير في أربعة أجزاء و هو تفسير بالمأثور ولا يزال مخطوطا.[132]

-**الحديث:** إن ما يميز الدولة الرستمية أنها دولة مستقلة خارجية تعتمد على المذهب الإباضي ، لذا لم يهتم علماء الإباضية بهذا النوع من العلم ،فقد اعتمد الإباضيون في المغرب على مؤلفات علم الحديث للعلماء الإباضية في المشرق فقد كانت البصرة منبع العلم للإباضيين و مركزا لتلقي علوم المذهب ، فقد كان العلماء الإباضية يحجون إليها لطلب العلم.[133]

فالإمام عبد الرحمن بن رستم هاجر في سنوات عمره الأولى إلى البصرة قبل أن ينشأ الدولة الرستمية إلى " أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة"" فظل خمس سنوات ينهل من علمه حتى تخرج منه،و يمكننا القول أيضا أن كتب الحديث الإباضية المشرقية وجدت في بلاد المغرب

---

[129]الواصلية :هم أصحاب واصل بن عطاء البصري(80هـ-131هـ)، رأس المعتزلة و سموا بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس حسن البصري في قضية مرتكب الكبيرة ظهرت هذه الفرقة في المغرب فكان بينهم و بين الإباضية عدة مناظرات و حروب و وقائع ؛ينظر:محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص 117.

[130]الدرجيني :المصدر السابق، ج1 ،ص 57.

[131]ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 45.

[132]الشماخي : المصدر السابق، ص 245.

[133]عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص 49.

عن طريق شراء الكتب و كذلك عن طريق الرحلات العلمية ، فكانت عامل مهم في دخول مؤلفات علم الحديث المشرقية الإباضية إلى بلاد المغرب الأوسط.[134]

و من كتب الحديث التي اشتهرت في بلاد المغرب ،كتاب المسند لابن الحبيب المسمى ""كتاب الربيع" الجامع الصحيح دونه الإمام الربيع بدليل ابتداء السند من أبي عبيدة مسلم بنو دون الإمام الربيع مسنده بطريقة تدوينا لأحاديث النبوية فقط"عكس الذين دونوا في عهده ،يخلطون بين الأحاديث النبوية و أقوال الصحابة و فتاوى التابعين ، فأولى الإباضية في المغرب عناية فائقة به.[135]

كما عرفت تيهرت تواجد علماء أجلاء من غير المذهب الإباضي الذين برزوا في علم الحديث نذكر منهم علماء المالكية أمثال "أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي " نشأة ودارا و وفاة ،ولد حوالي 200هـ ،و تلقى بها دروسه الأولى على يد مشاهير علمائها و فقهائها و كبار محدثيها ،إلا أنه اشتهر أكثر كشاعر و أديب.[136]

-**الفقه:** يعتبر علم الفقه ، ذو أهمية كبيرة عند المسلمين نظرا لارتباطه بالدين الإسلامي، فعمد كثير من الفقهاء على دراسة هذا العلم لتوضيح تعاليمه للمسلمين و تنظيم أحوالهم.

هذا ما جعل بنو رستم بتاهرت يهتمون بهذا العلم من خلال بروز العديد من الفقهاء و مع العلم أن الدولة الرستمية تبنت المذهب الإباضي فعملت على نشر الإسلام من خلال مبادئ مذهبها ، كما عرف عنها تسامحها المذهبي ، هذا ما زاد علم الفقه حيوية و نشاط ، فقد فتح المجال للمناظرات بين الإباضية و غيرها من المذاهب،المالكية و المعتزلة و الشيعة و من أبرز العلماء المناظرين:

---

[134]عيسى بن الذيبن،نفسه،ص49.

[135]الشماخي : المصدر السابق ، ص109.

[136]محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق ، ص 43.

مهدي النفوسي الذي ناظر المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب ومحمود بن بكر وكان من الذين يدافع عن دينه و يرد على الفرق.[137]

و من أبرز العلماء الذين اهتموا بالفقه في تيهرت نتطرق أولا لاجتهاد الأئمة في ذلك فحين بلغت الكتب التي اشتراها الإمام عبد الوهاب إليه اجتهد في قراءتها حتى أتمها فقال : الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ، و لم أستفد منها إلا مسألتين و قيل ثلاث مسائل و لو سئلت عنهما لا أجبت فيهما قياسا، ما يعكس سعة علمه.[138]

و من العلماء الإباضيين الذين اهتموا بالفقه و نبغوا فيه عالم يعرف بأبي عبيد الأعرج عرف عنه الورع و إذا اختلف المسلمون في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه.[139]

و منهم ""عمروس بن فتح المساكني النفوسي""" ، كان عالم زمانه ، و عرف عنه تبحره في العلم و اجتهاده في دراسة العلم و ملازمة الدروس ، له مصنفات في الفروع و العقائد و من أهم مصنفاته في الفقه المدونة الفقهية "لابو غانم بشر بن غانم الخرساني"" التي قام بنسخها بمساعدة أخته و هي على اثني عشر جزءا ، ظلت نسخة عمروس ينتفع بها الإباضية بعدما ضاعت المدونة و إحراقها مع معظم الكتب الأخرى في تيهرت.[140]

-**علم الكلام:**عرف هذا العلم الانتشار الواسع في كنف الدولة الرستمية و هذا راجع إلى تطبيق الدولة لمبدأ الحرية الفكرية و الدينية فيها ، فلم يقمع المخالفين بمذهب الدولة و هذا ما شجع انتعاش المناظرات العلمية بين مختلف علماء المذاهب بكل حرية.

و من الأئمة الرستميين الشغوفين بعلم الكلام و المناظرة و تمكنه منه الإمام عبد الوهاب فمما يروى عنه أنه قال:"ذاكرت أبا مرداس في الوجوه التي تحل بها الدماء أو بأحدها فذكرت أحدها فتنكر و كره فأمسكت عن باقيها ، ثم ذكر الإمام أربعين وجها و قيل سبعين

---

[137]ابن الصغير: المصدر السابق ، ص91.

[138]الشماخي : المصدر السابق ، ص142.

[139]ابن الصغير : المصدر السابق ، ص95.

[140]الشماخي: المصدر السابق ، ص194.

وجها يحل فيها الدم من فعل شيئا."و من المناظرات المشهورة الإمام عبد الوهاب مناظراته مع الواصلية.[141]

كما كان في عهد الإمام أبي حاتم عهد انفتاح على الرغم من الحروب التي وقعت في عهده ، فنجد علماء المذاهب الأخرى يتناظرون في المساجد بكل احترام ، فلم يمنعهم الإمام أبي حاتم ، فنجد ابن الصغير يحدثنا عن ذلك فيقول:""...و كانت مساجدهم عامرة و جميعهم يجتمعون فيه و خطيبهم لا ينكرون عليه شيئا ، إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينها فتناظرت ، و اشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها ، و من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة ، و كذلك من أتى من الاباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك."[142]

و من العلماء المشهورين بهذا العلم "عبد الله بن اللمطي" و كان غاية في علم الكلام و كان يرد على الفرق و ينقذ مقالات المبتدعة حسب قول الشماخي ، جمعت بين الإباضية والمعتزلة مناظرة كان عبد الله بن اللمطي طرفا فيها.[143]

***- علوم اللغة و آدابها**

-اللغة العربية:

ما يعرف عن سكان المغرب أنهم من أغلبية بربرية احتكوا بالعرب بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، و عند قيام الدولة الرستمية سكن تاهرت العديد من العرب فظهر اهتمام سكان المغرب باللغة العربية التي لطالما كانت مرتبطة بالقرآن و علوم الدين باعتبارها لغة الإسلام.

---

[141]الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص292.

[142]ابن الصغير : المصدر السابق ، ص117.

[143]الشماخي : المصدر السابق ، ص190.

اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية للدولة الرستمية ، فقد كانت تعاملاتهم اليومية بهذه اللغة من خطبة الجمعة ، و كانوا بها يلقون دروسهم و بها يعظون العامة و بها يكتب الأئمة مناشيرهم التي يبعثونها إلى كل أطراف الأمة ومن العلماء الذين نبغوا في هذا العلم:[144]

أبو سهل الفارسي الذي كان ترجمانا للإمام أفلح و الإمام يوسف لتضلعه في اللغتين العربية و البربرية،التي ألف فيها اثني عشر كتابا وعظا و تذكيرا و تخويفا.[145]

-**النحو**:عرف العلماء التيهرتيين اهتماما كبيرا باللغة العربية ،فعملوا على نشرها بين سكان المغرب، فبعدما اختلطت اللغة العربية بلغة السكان الأم،ظهر نوعا من التحريف و الزلل في قواعد اللغة العربية فكان لابد من ظهور علماء اهتموا بهذا النوع من الأدب، و من النحويين و اللغويين الذين برزوا في عهد الرستميين نذكر منهم:

أبو عبيدة الأعرج بالإضافة إلى كونه عالما بالفقه و الكلام ،نبغ في النحو و اللغة و يذكر ابن الصغير أنه سمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت270هـ).[146]

الأدب:شهدت تيهرت في العصر الرستمي نهضة أدبية واسعة ،فلقد كانت عامرة بالأدباء و المفكرين ، و في طليعتهم نجد الأئمة الرستميين و مجموعة كبيرة من الأدباء و الشعراء التي تولدت عنها حركة فكرية متميزة،و يتفرع الأدب إلى فرعين:

-**النثر**: لقد كان في مقدمة المفكرين الأئمة الرستميين فلقد عرف عن الأمام عبد الوهاب أنه كان أديبا مفكرا ، له خطب و وصايا و رسائل تدل على سمو فكري و رقي أدبي ،فلقد كانت هذه الرسائل الرسمية التي تصدر عن الأئمة إلى رعيتهم كرسالة الإمام أفلح إلى عماله يدعوهم إلى تقوى الله و لزوم طاعته،و رسالة أبي اليقظان إلى جميع رعيته تعبر عن أسلوب

---

[144]محمد علي دبوز: المرجع السابق ، ص362.

[145]الشماخي : المصدر السابق ، ص244.

[146]ابن الصغير: المصدر السابق ، ص96.

أدبي راقي،يمتاز بقوته من خلال تعابيره المحكمة.[147]و تألق أيضا في هذا النوع من الفن الإمام "أفلح بن عبد الوهاب"من خلال قصائده ذات النوع التعليمي مضمونها حث الطلبة على طلب العلم و هي تقع في أربعة و أربعين بيتا،هذا مطلعها:

أشدد إلى العلم رجال فوق راحلة وصل إلى العلم في الأفاق إسفارا[148]

-**الشعر**:حظيت تيهرت بمجموعة كبيرة من الشعراء ،الذين نشطوا الحركة الفكرية و نذكر منهم من أهم الشعراء الرستميين الإمام أفلح الذي تنسب إليه أبيات عديدة من الشعر منها الأبيات التي يمدح فيها العلم و هي:

حي و إن مات ذو علم و ذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا[149]

و من الأدباء الذين بلغوا درجة سامية في الأدب و فنونه نذكر:

أحمد فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي قاضي تاهرت و شاعرها ، اشتهر بمدحه لأبي العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم و هو أحد الأمراء الأدارسة بالمغرب الأقصى ، و نبغ كذلك ابن الهرمة الأديب الفكاهي المضروب به المثل في إجادة النقد و حذق الشعر،كما نجد "سعيد بن أشكل التيهرتي" من قضاة تيهرت و شعرائها هجا مدينة تنس شعرا.[150]

و من شعراء العصر الأكثر نبوغا في تيهرت في ذلك العصر،" بكر بن حماد التاهرتي"(200هـ-296هـ/815-908م) هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي ، ولد و نشأ وتعلم بتاهرت ، رحل إلى القيروان لمواصلة تكوينه فقد كان ثقة عالما بالحديث و شاعرا فصيحا ، فاضلا، جليلا ، بعدما وشي به إلى إبراهيم بن أحمد الامير خرج هاربا من القيروان يريد تاهرت ، و في طريق عودته خرج عليه قطاع الطريق، فقتل ولده عبد الرحمان له عدة أشعار رثى بها ابنه مطلعها:

---

[147]رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط2 ،ص54.

[148]محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص336.

[149]محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص337.

[150]شوقي ضيف : **عصر الدول و الإمارات** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ،ص120..

بكيت على الأحبة إذا تولوا ولو أني هلكت بكوا عليا

كما له في الزهد و المواعظ و ذكر الموت و حوله شعر كثير.[151]

***العلوم العقلية:**

بلغت العلوم العقلية(الطب والحساب والفلك)مبلغا عظيما في العهد الرستمي ، لما أولته الدولة الرستمة من اهتمام و عناية بهذا النوع من العلوم و قد بلغ الاهتمام به درجة كبيرة حتى قيل"معاذ الله أن تكون عندنا أمة ال تعرف منزلة القمر"،و من العلوم المنتشرة في العهد الرستمي و أبرز روادها نذكر:

-**الحساب و الفلك:** برز في العصر الرستمي علم الفلك كثيرا على غرار باقي العلوم العقلية و من طليعة العلماء الإمام أفلح بن عبد الوهاب فقد بلغ في علم الغبار و النجامة مبلغا عظيما و تذكر المصادر أنه قعد ذات ليلة مع أخته فتذاكرا عن أول ما يذبح في السوق ، فقال أفلح: بقرة صفراء في بطنها عجل أغر قالت الأخت ذلك البياض في طرف ذنبه و كان الأمر كمقال.فكانت أخت الإمام أفلح بارعة في علم الحساب و الفلك و التنجيم.[152]

ثانيا : العلوم و العلماء في العهد الحمادي:

عرفت حاضرة بجاية تطورا فكريا أيام الدولة الحمادية فناهضت بذلك الحضارة العربية الإسلامية في المشرق و الأندلس ، فأصبحت المدينة ملتقى لرجال العلم ، حيث نبغ بها علماء اهتموا بمختلف العلوم منهما صارت بجاية من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي يقصدها عدد كبير من العلماء و الشعراء و الفقهاء ، كل هذا ساهم في تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في مدينة بجاية.

---

[151]أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : **رياض النفوس** ، تحقيق بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 19883،ج2 ،ص20 -26.

[152]الشماخي: المصدر السابق ، ص167.

***العلوم النقلية:** و يقصد بها علوم الدين ، هذه العلوم التي اهتموا بها ، و تشمل القرآن و السنة من خلال دراسة التفسير و الحديث و الفقه ، و يتجلى هذا الاهتمام من خلال تأسيس المساجد و الزوايا التي كانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم.

الفقه:شهدت بجاية نهضة فكرية في العلوم الدينية خاصة الفقه ، حيث تعددت تأليف علماء بجاية و ما يعكس ذلك ما ذكره الغبريني عن أبي علي المسيلي من أنه قال:"أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا"".[153]

إن التطرق لموضوع الفقه في بلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة يقودنا إلى الحديث عن الفقه المالكي ، الذي انتشر في هذه المنطقة منذ القرن الثاني للهجرة،رغم تداول العديد من المذاهب على المنطقة من انتشار الخوارج المتمثلة في الصفرية والإباضية وبعد ذلك عرف بلاد المغرب الإسلامي الحركة الشيعية واعتماده كمذهب رسمي للدولة العبيدية في القرن الثاني و الثالث للهجرة.[154]

إن التضييق و القمع الذي تعرض له أهل المغرب من قبل العبيديين،دفع بهم إلى الثورة على هذا المذهب، و كان ذلك في عهد المعز بن باديس الذي حصلت في عهده القطيعة المذهبية بينه و بين العبيديين، و تمكينه للمذهب المالكي في بلاد المغرب.فكان اعتماد المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة الحمادية ، سببا في إضفاء لون من الثبات و الوحدة، تحقق ذلك على المستوى العقائدي.[155]

فصار دراسة الفقه التخصص الأول المفضل في دراسة العلوم النقلية فأصبح المذهب المالكي عنصرا من عناصر التكوين الثقافي لمدينة بجاية وسعى رجال العلم على نشره و تدريسه و من كبار فقهاء مدينة بجاية في العهد الحمادي نجد:

---

[153]الغبريني : المصدر السابق، ص 36.

[154]نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي** ، تبر الزمان، تونس، 2004 ،ص 42.

[155]ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6 ، ص205.

العالم الجليل ""مروان بن علي الأسدي"" المعروف "بالبوني" نسبة إلى مدينة بونة التي استقر بها زمنا طويلا بعد أن صال و جال مشرقا و مغربا، كان حافظا نافذا في الفقه و الحديث، له كتاب مختصر في تفسير الموطأ و هو كثير بأيدي الناس، و توفي سنة(440هـ).[156]

و من العلماء كذلك نذكر موسى بن حماد الصنهاجي المتوفى(ت535هـ/1140م)بمراكش عرف عنه أنه كان فقيها تولى القضاء و كان راويا ألبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي ، و غيرهم من العلماء، ومن الفقهاء الذين استقروا في حاضرة الدولة الحمادية أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري الذي ينحدر أصله من مدينة قرطبة الأندلسية فقد ترك هذا الأخير العديد من المصنفات العلمية بالإضافة إلى العالم عمر بن عبد الله بن زاهر الذي استقر في مدينة بونة و عرف برواياته عن شيوخ عصره مثل أبي عمران الفاسي الفقيه ، و أبي عبد المالك بن مروان البوني ، و أبي القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي و قد توفي سنة(440هـ/1048م).[157]

و ظلت الدراسات الفقهية في حاضرة بجاية تزدهر على يد علماء و فقهاء ذاع صيتهم في العهد الموحدي.

-التفسير:

جاء اهتمام علماء بجاية بهذا العلم لقيمته الكبيرة في فهم معاني القرآن الكريم ، و قد جاء اهتمام العلماء المغاربة بهذا النوع من العلم بفضل كتب التفسير المشرقية المتداولة في المغرب منها كتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز البن عطية(481-542هـ/1074-1147م)و قد نوه ابن خلدون بكتاب الزمخشري بقوله:أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق"، و يبدو من خلال كالم ابن خلدون أن تفسير ابن عطية كان أكثر تفاسير شيوعا بين الناس.[158]

---

[156]ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق ابراهيم ألبياري ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة ، ج1 ،ص889.

[157]عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص259-260.

[158]ابن خلدون :المصدر السابق ، ج1 ،ص556.

بالإضافة إلى الفقيه و الفيلسوف "أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي" الذي لقب"" أبا حامد الغزالي لأنه تطرق في كتبه إلى كتاب الأحياء و كان كلامه على رأي بعض المؤرخين، أحسن من كلام الغزالي و أسلم، حتى أن كتابه كان كثير الانتشار بين الناس و هذا ما هو إلا اعتزاز الناس بصاحبه.[159]

-الحديث:

أما فيمن كانت لهم شهرة في علم الحديث نجد أبو محمد عبد الحق الاشبيلي ولد سنة(510هـ وتوفي 581هـ)ارتحل إلى بجاية وألف فيها التأليف و صنف الدواوين و ولي الخطبة و صلاة الجماعة بجامعها الأعظم ، يوصف برأس المحدثين له تأليف جليلة تداولها الناس مثل كتاب "الأحكام الكبرى" في الحديث و"الأحكام الصغرى" و له كتاب" العاقبة في علم التذكير".[160]

***علوم اللغة وآدابها:**

عرفت الدولة الحمادية في بجاية طوال القرن الخامس هجري حركة أدبية و علمية نشيطة.

-اللغة:

اتخذت الدولة الحمادية اللغة العربية ، لسان الدولة الرسمي ، فأصبحت بذلك لغة التخاطب الأدبي ، إلا أن اللغة العربية عرفت انتشارا و تداولا واسعا باعتبارها لغة القرآن[161] بفضل الانفتاح الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي بالأندلس و إفريقية ،و هجرة أبنائها إليها و كذلك إلى بلاد المشرق كما لعبت الهجرات العلمية في العالم الإسلامي دورا كبير في ازدهار الحركة الثقافية ، حتى سميت بجاية بمقصد العلماء من كل حدب و صوب و بما حملوه معهم من علوم و آداب سنشير إلى بعضهم في ذكرنا لأهم علماء

---

[159]علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008 ،ص 112.

[160]الغبريني:المصدر السابق، ص44.

[161]عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص263.

الحاضرة وساهم النازحون الهلاليون بقسط كبير في تعريب بلاد المغرب الإسلامي و قد تجلى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة التخاطب بين القبائل البربرية.[162]

-الأدب:

و بهذه اللغة العربية قدمت بجاية مجموعة كبيرة من الكتاب و الشعراء و اللغويين ، فقد أخذ الأدب شعرا كان أم نثرا الصدارة في مجال العلوم الأدبية.

-النثر:

و من الكتاب الذين كانت لهم شهرة نجد" ابن العالمي البجائي" و كان كاتبا من كتاب الدولة الحمادية ، و هو ناثر يلتزم السجع في رسائله . و بالإضافة"" لأبي حفص عمر بن فلفول" الذي كان كاتبا ليحي بن عبد العزيز الحمادي و إلى جانبه أبو عبد اهلل محمد بن أبي دفرير.[163]

-الشعر:

و من بين الشعراء المشهورين في عهد بني حماد ، منهم "ابن حمديس"" و ""عمر بن فلفول "و علي ابن الزيتوني" و يوسف بن المبارك"" و نذكر أهمهم:

يوسف بن المبارك : ذكر أنه من موالي بني حماد ، و له في مدائحهم من الشعر افتخارا لبني حماد،[164] وعلي بن الزيتوني الشاعر : شاعر المغرب الأوسط و أديبه ، و ألمعيه و أريبه ، و هو صاحب توشيح ، توشيع ، تقصيد و تقطيع ،بالإضافة إلى أبي حفص عمر بن فلفول ذكرناه سابقا ، كاتبا في عهد العزيز بن المنصور ثم في عهد يحي بن العزيز ، و له عدة أشعار.[165]

---

[162]رابح بونار: المرجع السابق ، ص283.

[163]نفسه، ص 288-289.

[164]عماد الدين الأصبهاني: **خريدة القصر و جريدة العصر**، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، الدار التونسية للنشر، ط3 ،1986 ، ص 183.

[165]رشيد بورويبة : **الجزائر في التاريخ _العهد الإسلامي** _المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984،ج3 ،ص250.

أبو محمد عبد الحق الاشبيلي : نزيل بجاية ألف فيها التأليف و بالإضافة لكونه من كبار المحدثين كما رأينا سابقا إلا أنه كان شاعرا أيضا له كتاب مجموع فيه شعره ، كله في الزهد وفي أمور الآخرة . و الذي كثر تداوله بين أيدي الناس، وابن أبي المليح الطبيب : كان شاعر له مقطوعات جالبة للحب سالبة اللب و له من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه و قضاءه حق العيد و واجبه مطلعها:

و جالت به جرد المذاكى كأنها عذارى و لكن نطقهن تحمحم [166]

***العلوم الاجتماعية:**

-**التاريخ:** علم التاريخ لم يحظ بعناية كافية من علماء بجاية أيام الدولة الحمادية مثلما حظيت العلوم الدينية و اللغوية، فلم يكتب تاريخ مفصل عن دولة بني حماد في بجاية إلا شذرات نجدها في كتب تاريخ العام كالبيان المغرب لإبن عذاري و تاريخ ابن خلدون و أعمال الإعلام لابن الخطيب[167] ،إلا أن المؤرخ عبد الحليم عويس يذكر في كتابه بعض المؤرخين الذين ارتبطوا بالدولة الحمادية و نجد منهم أبو عبد لله محمد بن علي الصنهاجي مؤلف كتاب هام في تاريخ الصنهاجي النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة وحماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي ألف كتابا في التاريخ للأمير الحمادي الثامن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي.[168]

***العلوم التجريبية:**

بلغت العلوم العقلية ببجاية مكانة مرموقة جعلت العلماء يقصدونها من مختلف الأنحاء و من ضمن العلوم العقلية نجد الرياضيات و علم الطب مرتبطة بالصيدلة و علم الفلك.

-**الطب:**

---

[166]الغبريني: المصدر السابق، ص 43؛العماد الأصبهاني: المصدر السابق، ص184.

[167]شوقي ضيف: المرجع السابق، ص107.

[168]عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص269.

و من بين الأطباء الذين ذاع صيتهم في العصر الحمادي ابن أبي المليح الطبيب وذكر أنه طبيب ماهر و اشتهاره بالطب و علي بن الطبيب[169]من أشهر الأطباء في بلاط بني حماد ذكر الغبريني أن الأبحاث في علم الطب كانت تتم وفق قوانين ، مما جعلها مقصد طلبة العلم و الأطباء من مختلف الأمصار خاصة الأندلس حيث مارس هؤلاء التطبيب في بجاية و ألفوا عدة مؤلفات طبية ،و من أشهر هؤلاء الطبيب " أبا القاسم محمد بن أندارس" الذي تبسط للطب طبيبا باحثا جيدا ، له رجز نظم فيه بعض الأدوية ، و يقول عنه الغبريني:" أنه كان شرع في نظم الأدوية المفردة من القانون" [170]ونبغ في الطب أيضا" ابن النباش البجائي" و كان ذا عناية بصناعة الطب ذا معرفة جيدة بالعلوم الطبيعية ،كما نذكر "عمر بن البذوخ أبو جعفر القلعي" من أهل قلعة بني حماد كان خبيرا بمعرفة الأدوية المركبة و المفردة و له كتب في الطب منها حواشي على كتاب القانون في الطب ابن سينا.[171]

-الفلك:

أما فيما يخص الفلك فقد اشتهر"علي بن أبي الوجال التاهرتي" والذي عرف بآثاره العلمية الكثيرة خاصة كتاب البارع في أحكام النجوم و لقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية واللاتينية و كذلك كتاب الأرجوزة في الأحكام الفلكية.[172]

-الرياضيات:

ما فيما يخص علم الرياضيات و هو من بين العلوم التي تبين حقيقة دور بجاية الثقافي و الحضاري ، فقد حظى المسلمون في هذا العلم تطورا ملحوظا في علوم الحساب ، الهندسة الجبر ، الميكانيك و حساب المثلثات ، فنقلوا أصول هذه العلوم من الإغريق و الهنود ثم

---

[169]العماد الأصبهاني :المصدر السابق، ص184.

[170]الغبريني :المصدر السابق، ص76.

[171]ابو العباس أحمد ابن أبي اصبيعة:**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج2،ص80؛رابح بونار : المرجع السابق، ص78.

[172]عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص271.

عكفوا على دراستها و الاستفادة منها.[173]و من مظاهر تفوق بجاية في هذا الميدان وجود رواد أوربيون استفادوا من دراسة علم الرياضيات في بجاية منهم الرياضي ""ألبيزي لوناردو فيبوناتشي""(1180م) باستدعاء من والده ليقيم فيها ،فاهتم بتعليمه وأوكله لأستاذ يدعى "علي البجائي" ليعلمه و يثقفه فانكب على دراسة مادة الحساب و الرياضيات بصورة خاصة ، وعاشر التجار والحرفيين البجائيين حتى تعلم وأخذ منهم ماعرف بطريقة العد السريعة مستخدما الأرقام الهندية.[174]ومحمد بن محمد بن أبي بكر القلعي ، كان عالما بالفقه و الفرائض و الحساب ، توفي ببجاية في عشر الستين و ستمائة.[175]

ثالثا : العلوم و العلماء في العهد الزياني:

فقد وجه علماء تلمسان جل اهتمامهم للعلوم الدينية ،وفي مقدمتها الفقه و علوم التفسير و الحديث.

1-العلوم الدينية:

-التفسير:

عرف العلماء المغاربة طريقتين ذكرها ابن خلدون لتفسير القرآن الكريم فتحدث عن التفسير المأثور و يستند إلى الآثار المنقولة عن النبي والسلف ، و هناك من المفسرين من يرتكز على الرأي و الاجتهاد والعمل بهذا يراه ابن مريم من أصعب الأمور و يقول عن من يفسر القرآن كأنه شهد التنزيل ، و يضيف أن الرسول(ص)لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات معدودة.[176]

---

[173]يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط3 ، 2009ص،164.

[174]يحي بوعزيز : المرجع نفسه ، ص 165.

[175]التنبكتي : المصدر السابق، ص381.

[176]أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : **البستان في ذكر الأولياء و العلماء من تلمسان** ، مراجعة محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 ،ص219.

اهتم أهل تلمسان ، كغيرهم من المسلمين بتفسير القرآن بأنه المصدر الأول لتشريعهم فدرس الفقهاء و العلماء تفسير القرآن في المدارس و المساجد بعاصمة بني زيان ومن أهم المفسرين التلمسانيين:

برز "**أبو عبد الله التلمساني**" في علم التفسير ، حيث مارس هذا العلم أكثر من خمسة و عشرين سنة ،إذ كان أبو عبد الله يفسر كل يوم ربع حزب من القرآن الكريم ، فأبدع في ذلك[177] ،و من بين المفسرين المشهورين ، الشيخ أعلم الناس في وقته بالتفسير "**أحمد بن زاغو**"(845هـ/1441م)هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني ، مفسر و محدث أصولي ، من أهل تلمسان درس في المدرسة اليعقوبية ، من أهم مؤلفاته في علم التفسير " مقدمة في تفسير القرآن العظيم" وفسر كذلك "" سورة الفاتحة" [178]وصفه القلصادي الذي قرأ عليه: "بأنه أعلم الناس في وقته بالتفسير و أفصحهم".[179]

كذلك سعيد بن محمد العقباني التلمساني (811هـ/1408م)الإمام العالم الفاضل ، فقيه مذهب مالك متفنن في العلوم ، سمع من ابني الإمام و له عدة تآليف ، أما عن اجتهاده في علم التفسير فيذكر ابن مريم أن له تفسير سورة الفاتحة و الأنعام و أتى فيهما بفوائد جليلة[180] ،ومن العلماء الذين اهتموا بالتفسير "محمد بن عبد الكريم المغيلي" ، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها(ت909هـ/1503م)له تفسير سورة الفاتحة كما ألف كتابا أخرفي علوم التفسير عنوانه ""الندر المنير في علوم التفسير".[181]

-علم الحديث:

---

[177]محمد الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف** ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1906 ،ص115.

[178]التنبكتي : المصدر السابق ، ص119؛عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 ص 156.

[179]ابن مريم : المصدر السابق ، ص41..

[180]ابن مريم : المصدر السابق ، ص106 ؛ابن فرحون : **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة و تحقيق مأمون بن يحي الدين الحنان ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ج2 ، 1996 ،ص 394.

[181]عبد الحميد حاجيات : " **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان** " ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011 ص 148.

اهتم به علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان ، و ذلك جراء اهتمامهم الكبير بسنة النبي(ص)،و قد برز العديد من علماء المغرب الأوسط بتلمسان في علم الحديث منهم:

أبي إسحاق التنسي(ت899هـ)إبراهيم بن يخلف أصله من تنس و استوطن تلمسان بعدما ألح عليه السلطان يغمراسن ، و كان من كبار علماء المغرب الإسلامي ، ترد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار ، و قد قام بتدريس الحديث و غيرها من العلوم بتلمسان ، فانتفع به خلق كثير ، أطلق عليه لقب الحافظ.[182]

ت842هـ)محمد بن أبي بكر بن عبد الله العجيسي التلمساني له مؤلفات ☹ابن مرزوق الحفيد عديدة في علم الحديث أهمها كتاب "أنوار الدراري في مكررات البخاري"" و له شرح لكتاب الجامع الصحيح للبخاري أسماه "المتجر الربيح و المسعى الرجيح والمرحب الفسيح" [183]،كما كان للشيخ ""عبد الكريم المغيلي" ، دراية بهذا العلم فألف فيه كتاب مفتاح النظر في علم الحديث.[184]

وممن اشتهر في هذا العلم أيضا ، ""محمد بن الحسن بن مخلوف أبركان"(ت868هـ/1464م)فقيه مالكي ، محدث من أهل تلمسان ، من أثاره "المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ".[185]

-الفقه:

ما يميز هذا العلم كثرة اهتمام العلماء التلمسانيين به وتجلى ذلك بالمؤلفات الكثيرة التي عرفت في هذا العصر. ونورد بايجاز أهم مصنفات علماء تلمسان في علم الفقه و أهم العلماء الذين برعوا فيه:

---

[182]التنبكتي : المصدر السابق ، ص573.

[183]محمد بن عبد الرحمن السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، مكتبة القدسي القاهرة ، ج7 ص50.

[184]التنبكتي : المصدر السابق ، ص578.

[185]عادل نويهض : المرجع السابق ، ص14.

""محمد بن عبد الكريم المغيلي" الذي ألف في هذا العلم "مصباح الأرواح في أصول الفلاح "في كراسين في الفقه المالكي، وابن مرزوق الحفيد له عدة تأليف في علم الفقه منه "أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك".[186]

كما ظهرت في هذه الفترة نوازل مشهورة إحداها للعالم الفقيه ""يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني(883هـ/1478م)بتلمسان بتأليفه لكتابه الضخم ""الدرر المكنونة في نوازل مازونة" وهي عبارة عن فتاوى أهل تونس بجاية و تلمسان[187] ،وأحمد بن يحي بن علي الونشريسي"(914هـ/1509م)الذي انكب على تدريس كتب الفقه المالكي ، من أهم مؤلفاته كتاب "المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب"".[188]

-التصوف:

ورثت الدولة الزيانية عن سابقتها ذلك الاهتمام و العناية بحركة التصوف فاهتم علماء تلمسان بعلم التصوف و برزوا فيه ،و من أعلام التصوف في حاضرة تلمسان نذكر منهم:

محمد بن أحمد المقري الجد الذي أكف التأليف العديدة في هذا العلم ، من أهمها كتابه الشهير"" الحقائق و الرقائق" كما له كتاب آخر في التصوف بعنوان" رحلة المتبتل" وكذا كتاب "إقامة المريد".[189]

ومن شيوخ التصوف عبد الرحمن ابن زاغو الذي وصفه ابن مريم بأنه له:""قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد و العبادة".[190]وممن كانت لهم مشاركة في علم التصوف نذكر أبي زيان محمد بن أبي حمو

---

[186]التنبكتي : المصدر السابق ، ص578.

[187]التنبكتي ،نفسه ، ص 637.

[188]الحفناوي : المرجع السابق ، ص 62-63.

[189]ابن فرحون : المصدر السابق ، ج2 ، ص 245.

[190]ابن مريم : المصدر السابق ، ص 42.

موسى الثاني بكتاب سماه"" الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة "[191].

***العلوم اللسانية:**

-علوم اللغة و آدابها:

حظيت اللغة العربية باهتمام واسع من العلماء التلمسانيين لارتباطها بالعلوم الأخرى خاصة الدينية فال يمكن الخوض فيها كتفسير القرآن إلا إذا نبغ المفسر باللسان العربي ،ومن هنا دأب العلماء على دراسة اللغة العربية و علومها كالنحو و الأدب الذي عرف اهتماما واقبالا كبيرين من أهل تلمسان شعرا كان أم نثرا.[192]

-النثر:

عرف هذا الفن الأدبي نموا كبيرا خلال القرن الثامن من خلال مجموعة من الكتاب الذين ذاع صيتهم ،ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال ،"ابن الخطاب المرسي""(688هـ1278م)محمد بن عبد الله بن داوود بن الخطاب من أهل مرسية ثم انتقل إلى غرناطة ، و هناك استعمل في الكتابة السلطانية ، بعدها قصد مدينة تلمسان و نزل على سلطانها يغمراسن الذي قربه إليه و جعله كاتبا له "صاحب القلم الأعلى فصدرت عنه الكثير من الرسائل.[193]

"ابن خميس التلمساني"(ت708هه/1309م)هو محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري التلمساني ، المشهور بابن الخميس شاعر المائة السابعة كان من كبار الأدباء والشعراء ، و نظرا لعلمه واله السلطان أبو سعيد ابن يغمراسن ديوان الإنشاء.[194]

-الشعر:

---

[191]التنسي : المصدر السابق ، ص 211.

[192]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 452.

[193]التنسي : المصدر السابق ، ص 127 ؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص227.

[194]يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 118.

من أهم الشعراء الذين عرفهم التاريخ الزياني و سنسلط الضوء عليهم و على أعمالهم ابن خميس التلمساني كان من كبار شعراء تلمسان ، حتى لقبه يحي بن خلدون بشاعر المائة السابعة فاق شعراء عصره ، له ديوان في الشعر إلا أنه فقد.[195]

و برز كذلك أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري التلمساني ولد ونشأ بتلمسان ، نبغ في فنون الأدب ، و نظم القصائد ، التي كان يلقيها في الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها ابي حمو موسى الثاني للاحتفال بالمولد الشريف.[196]

***العلوم الاجتماعية:**

-**التاريخ:** هو من العلوم التي لم يغفل عليها علماء تلمسان ، إذ برز الكثير منهم في هذا المجال في عهد بني زيان، و صنفوا كتبا تعد اليوم من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ بني زيان ومن أهم المؤرخين للدولة الزيانية نجد:

يحي ابن خلدون(ت781هـ/1378م) له كتاب ""بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " فاهتم للتأريخ للدولة العبد الوادية ، منذ نشأتها إلى عصر المؤلف القرن الثامن هجري ،ويعد من المصادر الأساسية لكون صاحبه عمل كاتبا في ديوان السلطان أبي حمو موسى الثاني فكان قريبا من الأحداث التاريخية.[197]

و كذلك العالم شمس الدين ابن مرزوق الخطيب(711هـ-781هـ/1311م-1379م) صاحب كتاب المسند الصحيح الحسن في ذكر وآثر و محاسن موالنا أبي الحسن المريني ،وتخللته ذكر بعض الأحداث التاريخية عن بني مرين و بني زيان.[198]

---

[195]المهدي البوعبدلي : " **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض اقلامها** " مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011،ص128-129.

[196]التنسي : المصدر السابق، ص 162 – 178.

[197]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 467.

[198]ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 5.

محمد بن عبد الله التنسي ، وله مكانة كبيرة بين علماء عصره، كما كان له أيضا مكانة رفيعة في بلاط السلطان المتوكل الزياني له كتاب" نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان"".[199]

***العلوم العقلية:**

و تعرف كذلك بالعلوم الطبيعية ، و تشمل الطب و الرياضيات و الفلك و نظرا لأهميتها قد لقيت تشجيعا من قبل حكام بني زيان من خلال تشجيع العلماء على العمل والاختراع فاعتني بدراسة الطب و علم النجوم و غيرها ، و قد برز العديد من العلماء الذين كانت لهم مشاركة فعالة في هذه العلوم.

-الرياضيات:

اهتم العلماء التلمسانيين بعلم الرياضيات وبرعوا فيه وألفوا فيه العديد من الكتب ،ومن كتب الحساب و الجبر التي كانت متداولة في بلاد المغرب الإسلامي ، واعتمد عليها العلماء التلمسانيين ، الأرجوزة الياسمينية في الجبر لأبي محمد عبد الله بن الحجاج بن الياسمين(ت601هـ/1254م) وأعمال الحساب لأبي العباس أحمد بن البناء(ت721هـ/1321م).[200]

و من علماء المغرب الأوسط الذين برزوا في علم الرياضيات نذكر على سبيل المثال لا للحصر:

الشيخ سعيد بن محمد العقباني التلمساني(ت811هـ/1418م)و هو إمام عالم فاضل ، متفنن في العلوم ، له تأليف عديدة أما فيما يخص علم الرياضيات له شرح"الحوفي في الفرائض"" وله شرح"" التلخيص لابن البناء" وله شرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر و

---

[199]التنسي : المصدر السابق ، ص 107.

[200]محمود بوعياد : **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط القرن التاسع هجري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 76.

المقابلة" [201]،وممن ساهموا في هذا العلم من خلال مؤلفاتهم محمد بن أحمد التلمساني الشهير بالحباك توفي(867 هـ/1463م) له كتاب "تلخيص أعمال الحساب."[202]

-علم الفلك:

اهتم العلماء المسلمين بهذا العلم منذ القدم ،لارتباطه بالأمور الدينية مثل تحديد القبلة ورؤية هلال رمضان و شوال ، ولم يخرج علماء تلمسان عن المألوف ، فلقد كانت لهم إسهامات كبيرة في علم الفلك.

و ممن برزوا في هذا العلم محمد بن النجار التلمساني شيخ التعاليم أخذ عن أبي عبد الله الآبلي، كان إماما في النجوم[203] ومحمد بن يوسف السنوسي الذي شرح قصيدة أستاذه الحباك ""بغية الطلاب في علوم الإسطرلاب وسماها "عمدة ذوي الألباب و نزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب."[204]

وأبي الحسن على بن أحمد المعروف بابن الفحام أخذ عن أبي عبيد الله بن النجار اشتهر بصنع المنجانة التي تزين بها قصر أبي حمو الثاني.

-الفلسفة:

اهتم الدارسون بالمنطق كواحد من أهم العلوم التي ألقت رواجا في بلاد المغرب الأوسط خاصة بعدما انتشرت كتب الفلسفة ككتاب الإحياء للغزالي وتجلى اهتمام علماء المغرب الأوسط بهذا العلم من خلال المؤلفات و المختصرات و الشروح التي ألفوها ،و من أشهر علماء العصر في هذا العلم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي(ت757هـ/1356م)أعلم

---

[201]ابن فرحون : المصدر السابق ، ص 394.

[202]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 489.

[203]الحفناوي : المرجع السابق ، ص553.

[204]عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 476.

خلق الله بفنون المعقول ، أصله من آبلة و نشأ بتلمسان و هو من شيوخ عبد الرحمن بن خلدون.[205]

و ألف محمد بن عبد الكريم المغيلي عدة مؤلفات في علم المنطق منها شرح الجمل وفي المنطق "مقدمة في المنطق ،أما في علم المنطق ، فقد نبغ العالم محمد السنوسي(ت895هـ) له شرح ""جمل الخونجي" في المنطق مختصر في علم المنطق وشرح مختصر ابن عرفة.[206]

واشتهر كذلك أبي الفضل محمد بن محمد المشدالي(865هـ/1460م) الذي كان عالما بالعلوم النقلية و العقلية ، ومن مؤلفاته شرح"" جمل للخوانجي."[207]

[205]التنبكتي : المصدر السابق ص 411؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص214.

[206]عادل نويهض : المرجع السابق ، ص181.

[207]جلال الدين السيوطي : **نظم العقيان في أعيان الأعيان** ، تحرير فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت ،1927ص . 160.

المحاضرة السابعة

البيوتات العلمية في المغرب الأوسط:

عناصر المحاضرة:

تمهيد:

1.البيوتات العلمية في حاضرة قسنطينة:

2 . البيوتات العلمية في حاضرة بجاية:

2 . البيوتات العلمية في تلمسان الزيانية:

تمهيد:

شكلت البيوتات العلمية في المغرب الأوسط مرحلة من حركة انتشار الفكر في المغرب انفردت به عائلات عريقة كان لها وزن اجتماعي وديني مثل أسرة المرازقة وابن الفكون والتفريسي وابن خياط وغيرها ، بحيث اتصف أعلامها بقيم الصلاح والتعبد والزهد الذي كان ميزة تحلى بها الجميع حسب ما اتفقت عليه المصادر المختصة في ذكر ترجمة سيرهم التي تشبعت بالمبادئ الصوفية من خلال طرق واتجاهات مشهورة في الأقطار الإسلامية على غرار الطريقة المدينية والغزالية والشاذلية ونحوها من القيم السائدة التي تأثروا بها دراية وعلما عن طريق دراسة الآثار الكتابية المتداولة في ذلك العصر مثل كتاب إحياء علوم الدين أو دراسةً ومشاهدة على يد الشيوخ.

إن البحث في علاقة هذه العائلات مع القيم الفكرية يعد جزئية هامة للتأريخ لظاهرة التحصيل العلمي والفكري في المغرب الأوسط ،لأنها شكلت حلقة وصل اجتماعية وثقافية وسياسية لا يمكن تهميشها في مختلف الدراسات الخاصة بالحركات الدينية والمذهبية بشكل خاص والجانب الحضاري ،وهو ما نلتمسه بصورة تلقائية حين البحث عن تاريخ البيوتات العلمية التي اشتهرت بالعلم والوجاهة ، علما أن أعلام هذه الأسر لم تتعلق كلها بالسلوك الصوفي بالوراثة وإنما هو اختيار مخصوص بأفراد معينين اتجهوا نحو هذه الطريقة كوسيلة للتعبد والزهد عن ملذات الدنيا وترك شهواتها مع التقيد بتعاليم الشريعة الخالصة وهو اعتقاد الكثيرين منهم ، وانطلاقا مما سبق من أفكار حاولنا من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية :

_ ما هي أشهر البيوتات العلمية في حواضر المغرب الأوسط وأشهر أعلامها ؟

1-البيوتات العلمية في حاضرة قسنطينة:

أما ظاهرة البيوتات في مدينة قسنطينة فقد بدأ ظهورها منذ العهد الموحدي، وذلك لما شهدته المدينة من حياة علمية نشطة قادها رجالها و علماؤها الذين اشتهروا بالوظائف و التدريس والتأليف، ولقد لعبت تلك الأسر العملية دورا فعالا ونافذا بالمدينة، على المستوى

الاجتماعي والثقافي و السياسي، وحتى على الصعيد التجاري، مما أدى إلى تنشيط الحركة الاقتصادية نفسها. [208]

ومن عوامل ظهور هذه البيوتات ما يلي: -الجو الثقافي الملائم الذي وفرته السلطة وذلك من خلال المنافسة بين أمراء المغرب ،وتشجيع الاشتغال بالعلم حيث قربوا العلماء و استقطبوا مشاهيرهم، من مختلف أنحاء المغرب والأندلس.[209]

-كان أغلب سكان مدينة قسنطينة من الحضر، واستطاعت العديد من عائلاتها أن تحصل على ثروات كبيرة سيما العائلات القريبة من السلطة أو تلك التي تشتغل بالتجارة، وبالتالي الجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة، تكونت بيوتات قسنطينة التي اشتهرت بالتنافس فيما بينها حول النفوذ والإمتيازات في المدينة.

-الاعتناء بالمؤسسات التعليمية والدينية وبرجال الفقه والعلم والأدب، وتشجيع البحث والتأليف والتصنيف، وإنشاء المكتبات والمراكز التعليمية المختلفة، كالمدارس والمساجد والزوايا، وتوفير الكتب لها .

-تعود هذه ظاهرة خاصة إلى الوعي الذي كان سائدا لدى الأسر بالمدينة وأعيانها مع وجود النساخين والخطاطين والوراقين الذين يتمتعون بمكانة علمية هامة، حيث كانت دكاكينهم ومحلاتهم مقراً للعلم والقراءة والطبع والنسخ.

-الشرف والنسب العربي الذي كانت تتمتع به هذه العائلات، كما كانت كلها صاحبة عصبية ونفوذ ولها العديد من الحلفاء، من أهل القبائل والعشائر المجاورة (الذواودة،

---

[208] ابن القنفذ القسنطيني،**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تحقيق،محمد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس،1968،ص152.

[209] برنشفيك روبار،**تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،من القرن 13مإلى15م**،تح،حمادي الساحلي،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1980،ج1،ص118.

الحراكتية ...إلخ) والتي كانت على علاقة تحالف مع تلك الأسر، مما جعلها تحتكر الجاه والمال والعلم والوظائف الدينية.[210]

إن مدينة قسنطينة خضعت لبعض البيوتات القسنطينية المشهورة بالعلم والفقه، حيث لعبت دور مهم في العهد الحفصي ساهمت في تطور الحياة الثقافية،أشهرها :"بيت ابن قنفذ، و ابن باديس، ابن الفكون، بيت الكماد وغيرها، وسنتعرض إليها لاحقا:

شهدت مدينة قسنطينة نهضة علمية وثقافية في عهد بني حفص، كغيرها من الحواضر المغربية الإسلامية، فقد عرفت ظاهرة البيوتات التي بدأت مع العهد الموحدي، وكانت المحرك الأساسي لعجلة الحياة الفكرية والثقافية، ومن بين هذه البيوتات التي حملت على عاتقها مسؤولية نشر العلم داخل المدينة وخارجها، بيت آل الفكون، الذي يعد من أشهر العائلات وأقدمها في المدينة، كما يعد صرخة في وجه الفساد توارث أفراده العلم والصلاح، وأصبحت مكانتهم مرموقة في المجتمع، فقد ساهموا في شتى المجالات، وطوروا المدينة بأفكارهم، ووصلت شهرتهم إلى المغرب و الأندلس وحتى المشرق.[211]

***بيت ابن قنفذ القسنطيني:**

بيت ابن القنفذ من البيوتات العريقة بمدينة قسنطينة أما فيما يخص أصله فيورد الفكون روايتان في كتابه "منشور الهداية "الأولى ":أنهم من بلد ميلة وينسبهم مرة أخرى إلى الشيخ أبي العباس أحمد الخطيب، وذلك في سياق ترجمته للشيخ الغربي خلال القرن 10 هـ الذي تولى الإفتاء في قسنطينة غير أنه لم يعد يمتلك المؤهلات الكافية لذلك المنصب حسب

---

[210]محمد العروسي المطوي،**السلطنة الحفصية،تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1986،ص17.

[211]بوكرديمي نعيمة،**البيوتات العلمية في قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي**،مجلة عصور جديدة،العدد18،جامعة وهران،2015،ص32.

الفكون": وأخبرني جمع كثير ممن يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا أن شهرة أسلافه أورثته المنصب.[212]

وقد كان هذا البيت ميسور الحال أو بعض أفراده على الأقل، وذلك ما نستخلصه من حديث علي بن حسن بن قنفذ (733هـ/1332م) لابنه عند دنو أجله بقوله ": أبقيت لك عددا من الدور والجنات والأرضين وغير ذلك مما تعلم..."

ويعد الفقيه حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ(644هـ/1265م) على رأس بيت إبن القنفذ الذي أسسه على أساس علمي.[213]

والقنافذة هم بطن من أَشْجَع من العدنانية، وهم بنو قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن أشجع، وبذلك فإن شهرة العائلة بابن الخطيب ظاهرة السبب، حيث توارث ،"والدي حسن بن علي بدءاً بالجد حسن بن علي بن ميمون ، أبناء البيت الخطابة في الجامع لعدة أجيال متعاقبة الذي تولاها مدة ستين سنة أو خمسين سنة، إلى الحفيد أبي العباس ،(1333 م/ 733 هـ) ، وقد استعمل هذا اللقب (م 1407/ 810هـ) أحمد الشهير بابن الخطيب القسنطيني.

لقد أنجب بيت ابن قنفذ العديد من العلماء الأجلاء والأفاضل، الذين اشتهروا بالعلم في بلاد المغرب الإسلامي كله، حيث اشتغل جلهم بالخطابة والإمامة، وقد ذكرت المصادر أربعة منهم خلال هذه الفترة هم:[214]

-حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ:(644هـ/1265م)أول أبناء هذا البيت ذكرا، وهو من أعيان مدينة قسنطينة ووجهاءها، وهو جد ابن قنفذ الخطيب، المؤرخ والفلكي الكبير، ترجم له حفيده في كتابه الموسوم "بالوفيات "وكان مختص في الحديث.

---

[212] فيلالي عبد العزيز ،**ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته**،مجلة سيرتا،معهد العلوم الاجتماعية،العدد11،قسنطينة،1998،ص110.

[213] قشي فاطمة الزهراء ،**معالم قسنطينة وأعلامها**،مجلة إنسانيات،مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية،العدد20،وهران،2003،ص111.

[214] نفسه،ص112.

– **علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ:(733هـ/1333م)**وهو جد صاحب كتاب "الوفيات "والد والده ،وهو فقيه محدث متمكن من فن الخطابة، تقلد عدة مناصب بقسنطينة، حيث كان خطيبا بالمسجد الجامع بالقصبة.

– **حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ(750هـ/1349م)**، ولد بمدينة قسنطينة سنة (694هـ/1294م)هو والد صاحب كتاب "الوفيات" ابن قنفذ الخطيب ، درس وتعلم بها وبجاية، فقيه مالكي محـــدث مشارك في عــدة علوم.[215]

– **أبو العباس إبن قنفذ الخطيب(ت810هـ/1407م):** هو أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ وكذلك بابن الخطيب، كما سمي بالقسنطيني نسبة إلى مدينة قسنطينة أما تاريخ ولادته فإن ابن القنفذ ،ولد في مدينة قسنطينة في بيت علم وفقه.[216]

بعد استقرار ابن قنفذ في قسنطينة عكف على التأليف والتصنيف، فعرف بتآليفه المختلفة حتى وصف بالمؤلف الذي كتب في جميع المواضيع، وقد بلغت مؤلفاته سبعة وعشرون مؤلفا حسبما ذكره هو بنفسه في كتابة "الوفيات" في شتى العلوم، في التاريخ، والفقه والأدب واللغة والمنطق والفلك والحساب والتصوف والتراجم والعروض والأنساب دونها صاحبها في آخر كتاب وهو "شرف الطالب في أسنى المطالب" ،مما يدل على سعة الإطلاع وموسوعيته وعمق تفكيره وتعدد معارفه وتنوعها فزاحم بذلك الدارسين المختصين في علومهم.[217]

*** البيت الباديسي:**

---

[215]فيلالي عبد العزيز ،**أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي،ق7هـ-10هـ**،مجلة جامعة قسنطينة،علوم إنسانية،العدد1،دار نوميديا ،قسنطينة،1990،ص13.

[216] ابن قنفذ،**الوفيات**،تحقيق،عادل نويهض،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1983،ط4،ص357.

[217] بوعزيز يحي،**الاوضاع السياسية والثقافية في عصر أحمد بن قنفذ القسنطيني**،مجلة سيرتا،معهد العلوم الاجتماعية،العدد11،جامعة منتوري،قسنطينة،1998،ص101.

من البيوتات الأخرى المشهورة بمدينة قسنطينة، والتي تعد ذات أصالة وعراقة، حضيت بمكانة اجتماعية وعلمية وسياسية خلال العهد الحفصي أسرة ابن باديس، هذه الأسرة التي اشتهرت بالثروة والجاه وحملت راية العلم مثلها مثل غيرها من الأسر بفضل علماءها الأجلاء والأفاضل هؤلاء الذين رفعوا أسرتهم إلى عالم الشهرة من خلال جهودهم في نشر العلم، وما تركوه من تراث عريق تداولته أمة بعد أمة.[218]

ويعود نسب هذه العائلة إلى قبيلة صنهاجة، وهي من أقوى القبائل البربرية في المغرب الأوسط، كان موطنها بعد الفتح يشمل تلول المغرب الأوسط بين الأوراس ومدينة تنس بما فيهم قسنطينة. نبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة، كان لهم دور كبير في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، ويرجع بعض المؤرخين المحدثين أصل الأسرة الباريسية في قسنطينة إلى بلكين بن زيري بن مناد وقيل أن جدهم مناد بن ماكسن أصوله من "ملكانة "أو "تلكانة (م984/ه373) فرع من قبيلة صنهاجة ذات البأس والقوة وهي بدورها يرجعها الطبري وابن الكلبي وغالبية المؤرخين إلى أصول حميرية يمنية، خدم مناد بن ماكسن الدولة الأغلبية أيام الخليفة العباسي المقتدر والقادر، ثم خلفه ابنه زيري بن مناد الذي عرف بالشجاعة والحكمة بين ثم خلفه ابنه بلكين بن زيري بن مناد الذي أصبح خليفة على افريقية ،بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر.[219]

أمّا الاسم الباديسي لها فقد يكون نسبه إلى باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ثالث أمراء الدولة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي.وهو أول أمير زيري اسمه باديس، الذي اشتهر بمقولته التاريخية" :إن كان على الزيرية السلطة فقد ورثتها عن آبائي الأشاوس، وإن كان من أجل الحفاظ عليها فسيكون ذلك بسيوفنا هذه".

اشتهر منهم الكثير:

---

[218] لزغم فوزية، **البيوتات والاسر العلمية بالجزائرخلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي**،رسالة دكتوراه،إشراف محمد بن معمر ،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية،جامعة وهران،2014،ص26.

[219] بن عمر علال،**الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من ق7ه-10ه/10-16م**،رسالة ماجستير ،إشراف عبد العزيز فيلالي،كلية الآداب والعلوم الانسانية،قسم التاريخ،قسنطينة،2011،ص41.

أبوعلي حسن بن بلقاسم بن باديس القسنطيني وهو شيخ من أهل العلم يذكر فقها ومسائل ذات سمت وهيبة ووقار بقسنطينة حسب العبدري.[220]

***عائلة ابن الفكون:**

تعتبر عائلة الفكون من العائلات العريقة بقسنطينة، بيت علم وأدب و رئاسة ودين، توارث أبناؤها المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر ، تنتسب هذه الأسرة إلى إحدى القبائل العربية وهي تميم،هذا ما يراه كثير من المؤرخين وأفراد عائلة الفكون ومن ثم فهي من العائلات العربية العريقة.ولعل أقدم شخصية من أسرة الفكون ذكرتها المصادر التاريخية هي شخصية حسن بن علي الفكون القسنطيني الذي كان حيا سنة602هـ/1205م، قال عنه الغبريني في ترجمة له: "أصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها،ومن كريم أرومتها"،يعد الشيخ أبو علي حسن بن علي بن عمر الفكون القسنطيني من أشهر العلماء في هذه الأسرة، فقد توارث أفراد عائلته العلم عنه مدة تزيد عن سبعة قرون من الزمن بذلك يعد أقدم شخصية فكونية ،وبروزه يعد بداية للأسرة.[221]

فقد كان أديبا وفقيها، غزير النظم والنثر،ويؤكد على ذلك الغبريني بقوله:"أنه من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم و وتروق أشعارهم".[222]

كانت أسرة الفكون تتمتع بإحترام الجميع، وذلك يعود إلى الروابط الوثيقة التي كانت تتمتع بها سواء مع السلطة أو المجتمع، فقد برزت في جوانب عدة خاصة الجانب العلمي، حيث خلفت هذه العائلة عددا من العلماء الأفاضل في شتى العلوم والتخصصات، ومن أفراد هذهالأسرة: عبد الرحمان الفكون ومحمد شقرون بن حليمة.[223]

2-البيوتات العلمية في بجاية:

---

[220] أبو القاسم سعدالله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1986،ص43.

[221] الغبريني ،عنوان الدراية،ص335.

[222] نفسه ،ص335.

[223] ابن قنفذ ،الفارسية،ص104.

عرفت حاضرة بجاية الحمادية والحفصية بروز عدة أسر علمية أشهرها:

أ-البيت المشدالي: ينتسبون إلى قبيلة زواوة ،وتعد من بين أهم الأسر العلمية ببجاية في العهد الحفصي ومن بين شيوخ وعلماء هذا البيت نذكر مايلي:

-الشيخ بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشذالي البجائي الذي اشتغل بالتدريس.[224]

-ابنه أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالي (ت866هـ/1461/)،فهو من علماء بجاية تولى الخطابة بالجامع الأعظم ببجاية وكان فقيها من تآليفه " تكملة حاشية أبي مهدي عيسى الوانوغي على المدونة" ومختصر"البيان لإبن رشد"،وأنجب أولاد علماء منهم:محمد بن محمد بن أبي القاسم وأبي الفضل.[225]

ب-بيت بن خلدون: يرجع نسبهم إلى جدهم خالد بن عثمان بن هانئ،الذي سمي بخلدون على الطريقة الأندلسية ،سطع نجمهم باشبيلية وتولى بعضهم قيادة الجيش والمناصب السياسية كما كونوا ثروة مالية من بينهم:[226]

-كريب بن خلدون:أنجب أولاد عرفوا بالعلم والجاه من أمثال: أبي بكر محمد الحسن بن محمد بن خلدون (ت681هـ/1282م)،ومحمد بن أبي بكر محمد الحسن بن محمد بن خلدون (ت737هـ/1336م)،وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808هـ/1405م)،وأخوه أبي زكريا يحي بن خلدون(ت780هـ/1378م).[227]

ج- بيت ابن القاضي الغبريني: ينسب هذا البيت إلى قبيلة بني غبرين البربرية مقرهم واد سيباو بالقرب من بجاية،امتهنوا القضاء من أشهرهم:

---

[224] التنبكتي ،المصدر السابق ،ص150.

[225] فوزية لزغم ،المرجع السابق،ص206-207.

[226] لزغم فوزية ،**البيوتات العلمية بقسنطينة وجاية في ظل الحفصيين**،مجلة عصور الجديدة،العدد14-15،جامعة وهران2014،2،ص205.

[227] نفسه،ص 206.

-أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بنعلي بن عمر المعروف بالغبريني(ت704هـ/1304م).

-أبو محمد عبد الله بن أحمد بن القاضي الغبريني،وكذلك محمد بنأحمد القاضي.[228]

2 . البيوتات العلمية في تلمسان الزيانية:

يشير مصطلح البيوتات العلمية إلى تلك الأسر التي تبنت السلوك والطريق الصوفي كوسيلة دينية للوصول إلى المعرفة الإلهية ، بحيث تكون لهذا البيت سابقة ولاحقة وعماد حال ، ومَسَاك دهر ، بمعني ما سلف من شرف الآباء وما لحق من شرف الأبناء أما بعماد الحال فهي الثروة ، وبمساك الدهر فهو الجاه [229] ويتشارك هذا المصطلح مع مفهوم البيوتات العلمية بصفة عامة كون أن الكثير منها انتهج أصول الصوفية وأصبح معروفا بها.

تتميز هذه البيوتات بأنها بيوت مجد وتعظيم والذي يكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة [230] كما تتميز بالأصالة والشرف والحقيقة كما أشار ابن خلدون في ذكره لمعنى البيت بقوله: أن يعدّ الرّجل في آبائه أشرافا مذكورين يكون له بولادتهم إيّاه والانتساب إليهم تجلّة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والنّاس في نشأتهم وتناسلهم معادن[231] ، كما يطلق على صفات أهل البيوتات بالكرماء [232] نظرا للخير المعروفين به فهم أهل الجود والتقوى ، إلا أن تميز بعض الأسر الصوفية بالجاه لا يعني تمسكهم بشؤون الدنيا فكثير من المتصوفة تميزت حياتهم بالتقشف فاقتصروا مثلا

---

[228] فوزية لزغم ،المرجع السابق ،ص 209-201.

[229] محمد بن زين العابدين بن رستم ، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس** ، دار ابن حزم ، لبنان ،ط1 ، 2009 ، ص 8

[230] الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني ، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس** ، تحقيق : علي بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ط1 ، 1422_ 2002 ، ص45

[231] عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (ت808هـ) ، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر بيروت ، 1408_ 1988 ، ج1 ، 167

[232] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت 538هـ) ، **أساس البلاغة** ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1419 _ 1998 ، ج1 ص 86

في اللباس على الصوف وهو الذي عرف به المتصوفة حتى قيل أنه سبب تسميتهم واختُصوا به بين فئات المجتمع وأكل القمح والشعير واختاروا السكن الضيق والبسيط ، في حين نجد مثلا أسرة المرازقة في تلمسان كانت نظرتهم مختلفة للحياة فقد كانوا ميسوري الحال ، يملكون الأراضي الزراعية الخصبة بالعباد ، والمحلات التجارية العديدة بالقيصرية وبأحياء أخرى بتلمسان وكانوا يتجملون ويلبسون أحسن الثياب [233] وبالتالي فإن نظرة المتصوفة للدنيا ليست واحدة لأن الكثير دعوا إلى التنعم بماحات الدنيا من ملبس ومشرب مقتنعين بأن السير إلى طريق الله غير محدد في الملبس والمشرب وإنما يتجلى في إتباع الكتاب والسنة وسلامة القلب من الأمراض الباطنية.

إن البحث عن مفهوم حقيقي للبيوتات الصوفية في المغرب الأوسط يتطلب دراسة اجتماعية وتاريخية لفئة لعبت دور كبير من حيث الانتشار الجغرافي والتمركز السياسي والثقل العلمي والديني ومن ثم جمع معطيات معتبرة للوصول إلى طبيعة التكوين الثقافي لها والذي جعلها تتبوأ مكانة جد حساسة نظرا للتجاذبات التي كانت تحيط بها على المستوى الديني ومع الحكام و الطبقة العامة .

*** بيت المرازقة :**

تعتبر أسرة المرازقة من بين أهم وأعرق البيوتات التلمسانية وقد عرفت على مر تاريخيها بالعلم حيث قال يحى بن خلدون عنهم بأنهم أهل صلاح وعلم ودين ووجاهة ، سميت باسم أسرة ابن مرزوق نسبة إلى جدهم مرزوق حيث يذكر ابن مرزوق الخطيب عن نسبهم بقوله : محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق بالقاف يكتب والدي رحمه الله ، ويضيف في موضع آخر بقوله وأما مابعد مرزوق فلم أتلقه من والدي ولا من عمي[234] ، ويقصد عمه أبا عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق ، ومنه جاء تسميتهم .

---

[233] عبد العزيز فيلالي ، **تلمسان في العهد الزياني** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية الجزائر ، 2002 ، ج 1 ، ص 399

[234] محمد بن مرزوق التلمساني (ت781هـ) ، **المناقب المرزوقية** ، تحقيق : سلوى الزاهري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المملكة المغربية ، ط1، 1429/ 2008، ص ص 145_146

لم يكن تصوف بعض علماء الأسرة المرزوقية تصوفا بدعيا بقدر ما كان يدخل في اطار الزهد والعمل الصالح من أمثال:

- **محمد بن مرزوق : ت 681هـ/ 1282م :**

هو محمد بن محمد بن أبي بكر بم مرزوق ابن الحاج العجيسي التلمساني المكنى بأبي عبد الله قال عنه ابن مرزوق الخطيب : بركة بيت المرازقة ووسيلتهم [235] وصفه ابن مريم بقوله : كان من العلماء الزاهدين والعلماء العاملين [236] وكان مهتما بالتصوف علما وعملا حتى عرف بالولي الصالح ، وكان مجاب الدعوات وله كرامات ، توفي سنة 681هـ/ 1282م في صومعة الزهد [237] .

- **أبو العباس أحمد بن مرزوق : ت 741هـ /1341م :**

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد أبي بكر بن مرزوق ، ولد في تلمسان في محرم 681هـ /1282م ، تتلمذ على يد نخبة من العلماء في مختلف الحواضر منهم أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام ، كانت له مكانة عند السلطة الزيانية حيث يذكر البن مرزوق الخطيب عن والده فيقول : اقترح صاحب تلمسان على والدي رحمه الله طالبا منه الفارة في غرض الرسالة والإصلاح فسكتت الفتنة في سفارته [238] أما بالنسبة لتصوفه فكان سنيا خالصا حيث أنه عرف بالورع والزهد كما كانت له كرامات بحيث اعتقد فيه مثل والده حتى أن السلاطين والأمراء الذين كانوا يرغبون في زيارته مثل أبو حمو موسى الأول الذي حاول مرارا رؤيته والجلوس إليه ورغب منه أن يتولى وظيفة عقد الشروط والشهادة مع ثلاثة من

---

[235] ابن مرزوق،المصدر السابق ، ص 147

[236] ابن مريم التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ، مراجعة : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908م ص226.

[237] محمد بن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** ،تحقيق: ماريا حيسوس بيفر ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر 1981، ص18

[238] محمد بن مرزوق ، المرجع السابق ، ص 121

خواصه وعلى رأسهم الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الواحد المجاصي إلأا أنه امتنع عن هذه الوظيفة .[239]

- ابن مرزوق الحفيد : ت842هـ /

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني [240] ولد في تلمسان سنة 766هـ /1364م وقد اشتهر بالحفيد تمييزا له عن غيره من علماء بيت المرازقة ، وقد نبغ في طلب العلم منذ طفولته مسافرا في العديد من الحواضر بحيث يصف البن مريم كثرة رحلاته بقوله : قطع الليالي ساهرا وقطف من العلم زاهرا ، فأثمر وأورق ، وغرب وشرق ، حتى توغل في فنون العلم .[241]

كان ابن مرزوق إماما وتصوفه سني خالص وهو ما نستنتجه من وصف التنبكتي بقوله : هو البحر بل دون علمه البحر ،هو البدر بل دون فلقه البدر ، هو الدر بل دون منطقه الدر ، فهو شيخ العلماء في أوانه وقطب الأئمة والزهاد في زمانه شهد بنشر علومه العاكف والبادي وارتوى من بحر تحقيقاته الظمآن والصادي [242]

ذكرت لنا بعض المراجع لباس رجال التصوف للأسرة المرزوقية أن بعضهم اتخذ التقشف والزهد والابتعاد عن ملذات الحياة ونعيمها منهجا لهم ، فاقتصروا على على المرقعات واللباس الخشن من الشعر والصوف ، واكتفوا بأكل الشعير والنخالة واختاروا السكن البسيط مأوى لهم[243].

---

[239] عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص 392

[240] محمد بن علي الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، ج2 ، ص119

[241] ابن مريم ، المرجع السابق ، ص208

[242] أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ)، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكتاب ، طرابلس ، ط2 ، 2000، ص 501

[243] فيلالي ، المرجع السابق ، ص 399

في حين عرف أبو عبد الله محمد الأكبر المرزوقي بلبس أحسن الثياب وكان أبو العباس يتجمل أيضا في إشارة إلى الثورة على التصوف التقليدي الجامد وهذا راجع أن المرازقة كانوا ميسوري الحال ولكن هذا لم يمنعهم من فهم تعاليم التصوف
وفق منهج سليم دون تشدد مطلق ولا تخلي مفرط .

*** بيت ابن زاغو:**

تعتبر أسرة ابن زاغوا من البيوت العريقة في تلمسان فهي تنسب إلى قبيلة مغراوة البربرية التي سكنت المغرب الأوسط ما بين تلمسان إلى الشلف في حدود القرن الثاني هجري وقد أصبحت هذه الأسرة حسب وصف ابن مرزوق الخطيب من كبار بيوتات تلمسان القدامى وهم أهل علم ورياسة وخطط مرعية ، ويبدو من حديث ابن مرزوق الخطيب أن بيت ابن زاغو كان مقربا من السلطة الزيانية كونه من أصحاب الأعيان والوجاهة وهذا راجع للنسب العريق الذي ارتبط باسم هذا البيت إضافة إلى قوة التأثير بحكم العلم الذي اشتهر به أفرادها إذا ماعلمنا أن البعض منهم كان من أهل الفتوى أما بالنسبة لتصوف علماء هذه الأسرة نورده مع الشخصيات الآتية :

- أبو العباس ابن زاغو: ت 845هـ/ 1441م

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني ، الشهير بابن زاغو ، المكنى أبا العباس ولد سنة 782هـ /1380م بتلمسان أما عن نسبه فيذكر القلصادي بأن له نسب أشهر من الشمس في السماء وحسب كاتساق عقد النجوم في بحر الظلماء ، وخلق أندى من الزهر .[244]

بعتبر ابن زاغو من المتصوفين الزهاد الذين برزوا في تلمسان وهو ما نلتمسه من جملة الترجمات التي كتبت عليه حيث نذكر منها على سبيل المثال ما أورده ابن مريم بقوله : الشيخ العلامة الفاضل ، الولي الصالح ، الصوفي الزاهد العلامة
المحقق القدوة وذكره تلميذه القلصادي بقوله : على أنه قدم راسخة في التصوف ، مع الذوق السليم والفهم المستقيم ،وبه يضرب المثل في الزهد والعبادة ، وعند كلامه تقف الفتيا في

[244] القلصادي ، المصدر السابق ، ص 103

الأذكار والإرادة ، مقبل على الآخرة معرض على الآخرة ،عار عن زخرفها ، إلا ما يتخذه من ثوب حسن أو هيئة في الجمال ، أكرمه المولى بتلاوة القرآن مع إيثارة الخلوة وإجابة الدعوة [245] ، وقال عنه الحفناوي : الإمام العالم الفاضل الولي الصالح الصوفي الزاهد العلامة المحقق المتفنن القدوة .[246]

- متصوفة من أسرة ابن زاغو :

جمع لنا الأستاذ طاهر بونابي[247] جملة من زهاد أسرة ابن زاغو على غرار يوسف بن علي ابن زاغو الجد وأبو زيد عبد الرحمن بن يوسف الابن وأبو الحسن علي بن محمد بن زاغو والذين اتبعوا اجمالا المشرب الصوفي الشاذلي .

*** بيت أبركان :**

يعتبر هذا البيت من أقدم البيوت التلمسانية من ناحية الوجاهة والعلم وقد عُرف أفراده بالصلاح والفضل والكرامة علما أن ميزة جميع الأسر الكبيرة في تلمسان بسبب توارث القيم الزهدية وانتقالها عبر الأجيال التي أصبحت بمثابة ثقافة عائلية خالصة نذكر من بينهم :

- الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي:

اشتهر بأبركان ومعناه بلسان البربرية الأسود، الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الولي الصالح القطب الغوث الشهير الكبير وله مكاشفات كثيرة وكرامات، منها :ما ذكره السنوسي وأخوه علي قالا: كان يتوضأ في صحراء يومًا فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على بساطه فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد فقال له : تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثًا فأطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحي ثم قام ومضى[248]

- أحمد بن عيسى الورنيدي الزكوطي المعروف بأبركان :

---

[245] القلصادي،المصدر السابق، ص 103

[246] أبو القاسم الحفناوي ، **تعريف الخلف برجال السلف** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج2 ، ط2، 1985، ص 46

[247] طاهر بونابي ، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين** ، أطروحة دكتوراه دولة العلوم في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2009 ، ص 722

[248] التنبكتي ، المصدر السابق ج1 ، 161

وهو بحسبه ولي صالح يدرس علم الظاهر والباطن ويقرأ رسالة أبي زيد القيرواني ومختصر ابن الحاجب الفرعي و عقائد السنوسي وألفية ابن مالك وغيرها ، قرأ عليه ابن مريم القراءات في صغر سنه ، ويبدو أن 1العالقة استمرت بين ابن مريم وشيخه حتى وفاة هذا الأخير[249] .

علما أن تصوف هؤلاء المشايخ كان يدخل في إطار المعاملات والمجاهدات العرفانية الزهدية القائمة على الخلوة والورع .

*** بيت ابن الخياط :**

اشتهرت بهذا الاسم نظرا لاشتغال أجدادهم بالخياطة وهو كسابقيه من البيوت ذات الحظوة والمكانة الإجتماعية والدينية الكبيرة في الحاضرة التلمسانية مثلما ورد في ترجمة أبو اسحاق الخياط بأنه كان يعيش من الخياطة ، أما بالنسبة لأشهر متصوفة هذا البيت فهم كالآتي :

- أبو عثمان ابن الخياط :

عرف بابن سبعين وهو متصوف تربَّى وربىَّ ، وجلس على ساحة الإرشاد ، ولبس الخرقة على طريق أبي العباس الرفاعي وطريق السيد أبي مدين ، وكان مستجاب الدعاء[250].

- الشيخ أبو اسحاق الخياط :

رجل صالح يكسب من الخياطة ، عرف بقضائه لحوائج الناس زمن أبي يحى يغمراسن بن زيان وكان زاهدا وضريحه معروف في تلمسان.

*** بيت صاحب الصلاة :**

اشتهر أعلامها في تلمسان بالزهد والتصوف السني الصحيح الذي كان سائدا في القرن الثامن هجري واتباع الطريقة المدينية من أمثال :

- أبو العباس أحمد بن منصور بن صاحب الصلاة :

---

[249] ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 24

[250] يحى ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص144

هو الشيخ الخطيب بن صاحب الصلاة الخزرجي من العلماء العابدين أهل الكرامات والأخبار بالمغيبات والدين والصدقات وهو الوصف الذي أورده يحى ابن خلدون في كتابه ، بحيث نستنتج انطلاقا من هذه الترجمة علو مكانة

هذا الإمام من خلال أوصافه الفريدة والحميدة .

*** بيوتات تلمسانية أخرى :**

- بيت التفريسي :

حيث يعد أحفاد بنت التفريسي إخوان أبي العباس بن مرزوق وقد تأثروا عموما بالطريقة المدينية منهم أبو يعقوب يوسف التفريسي الجد [251]ويوسف بن يحى بن يوسف الذي عاش في القرن الثامن هجري .

- بيت بن هدية :

كان أفراد هذه الأسرة من الزهاد والعلماء الأجلاء واتبعوا طريقة السلف الصالح حيث ذكر يحى ابن خلدون البعض منهم على غرار أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي وأبي علي بن هدية الابن وأبو الحسن الحفيد[252] .

- بيت بنو عبد العزيز :

كان مشايخ هذه الأسرة ممن عملوا في خطة القضاء وتأثروا بالفكر الغزالي من أمثال أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الحزين ويحيى بن عبد العزيز .

- بيت بني النجار :

عرف أفرادها بالصلاح والزهد والصدقة من أمثال أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر وأبو عبد الله بن يحى و أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

---

[251] يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص107

[252] نفسه ، ص 116

المحاضرة الثامنة

التواصل العلمي والحضاري داخليا وخارجيا:

عناصر المحاضرة:

تمهيد:

1-عوامل التواصل العلمي بين المغرب الأوسط داخليا وخارجيا.

2- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

3- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأدنى.

4- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والأندلس.

5- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط ومصر.

6- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط الحجاز.

تمهيد:

لقد أصبحت الرحلة مع مرور الزمن ضرورة تعتبر من أهم الوسائل التي أرخت لتاريخ البشرية وفتحت عيونه على أعمالهم حافلة بالمعلومات التاريخية والحضارية ، وقد حرص الرحالة فيما بعد على تدوين خلاصة ما شاهدوه وما لاقوه أثناء أسفارهم ، حتى غدت الرحلة فنا قائما له مبادئه وخصوصياته .إن التراث العربي الجغرافي غني بالدراسات عن مختلف بقاع العالم ويرجع الفضل في ذلك إلى الرحلات التي قام بها العلماء من العرب والمسلمين ، إذ كرسوا حياتهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان فهي تعتبر قناة من قنوات التواصل بين الشعوب قديما وحديثا.إن الرحلات بين المغرب والمشرق أو العكس كانت بحق جسرا عبرت من خلاله ثقافة المغرب إلى المشرق العربي ونقلت ثقافة المشرق إلى المغرب العربي، فقد مدت جسور التواصل بين شقي العالم الإسلامي كما كشفت عن جوانب شتى من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك العصر.

1-عوامل التواصل العلمي بين المغرب الأوسط داخليا وخارجيا:

لعل أبرز نموذج ملموس للحوار بين الثقافات هو أدب الرحلة، ذلك أن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى مكان آخر إما للعمل، أو لطلب العلم، أو للتجارة، أو في مهام دبلوماسية، أو لغاية الترفيه؛ فكان التفاعل مع أشخاص آخرين من أجناس وثقافات وعقائد مختلفة[253]. وتتخذ هذه التفاعلات أشكالا مختلفة، فتكون عنيفة ومدمرة أو سلمية وودية. ولا نقصد بالعنف هنا الاحتلال أو الغزو، بل نعني به تصورا ثقافياً خاطئاً ناجما عن نقص في التواصل بسبب الأفكار المسبقة[254].

[253] سعيد الدين صالح، **التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**،دار الصحوة للنشر والتوزيع،2005، ص:86-87

[254] عواطف يوسف تواب ، **الرحالات المغربية والأندلسية**، الرياض،1996،ص 61

وفي وجه من وجوه هذا التراث تظهر الرحلة بأبعادها الحضارية المختلفة ولأجلها تحمل الرحالة العرب والمسلمون عوائق شتّى كي تكون المسالك مستنيرة للأجيال غاية التفاعل والتواصل الحضاري والتكامل الإنساني[255].

شهدت بلاد المغرب الأوسط وبلدان المغارب تحولات سياسية كبيرة،كان لها الأثر المباشر على التواصل العلمي بينهما،وانعكس ذلك على جميع جوانب الحياة خاصة العلمية والفكرية كما كانت عوامل أخرى ساهمت في التواصل العلمي نوجزها فيمايلي:

1- حركية العلماء والكتاب وتنقلاتهم بين هذه البلدان وحواضرها.

2- اقتناء الكتب والمصنفات العلمية وترويجها بين علماء المغرب الإسلامي.

3- كثرة الطلبة في حلقات العلم وشغفهم الكبير في طلبه.

4- بداية الاهتمام بصناعة الورق مما زاد في نسخ الكتب وكثرتها.[256]

5- وفرة الإجازات العلمية بين العلماء والأدباء والفقهاء والمحدّثين حيث أصبحوا أعلاما زانوا بأعمالهم المحافل العلمية على مستوى عواصم بلدان المغرب الإسلامي.

6- تحفيز العلماء للناس في طلب العلم والسعي إلى اكتسابه باعتباره سر تطور الأمم .

7 - هجرات علماء الأندلس: كان لحركة الهجرة الأندلسية دور كبير في تطور الحياة الفكرية في بلدان المغرب الإسلامي، وتعود هجرة العلماء الأندلسيين إلى حواضر المغرب الإسلامي لأسباب منها:

---

[255] لطفي ميلاد ،**التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ،مجلة العلوم الإنسانية** ،الكراسات التونسية،مجلد12،ص100.

[256] سامية مصطفى مسعد،**العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية**،ط1،عين للدراسات والبحوث الانسانية،2000،ص175.

* التدهور السياسي دفع بعض العلماء على الهجرة من الأندلس إلى المغربين: الأقصى والأوسط، وإلى إفريقية والمشرق رغبة منهم في الاستقرار مما جعلهم في احتكاك مع أقرانهم المغاربة.

* هجرة عدد كبير من علماء الأندلس إلى المغرب عقب ضم الأندلس على عهد المرابطين، ما جعل ذلك له فائدة من خلال الاستفادة من علومهم وانتاجاتهم الفكرية.[257]

2- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأقصى:

تعدّ تلمسان المنبع الأساسي للمغرب الأقصى، فقد كانت منّارة علمية وصل بصيصها إلى هذه النواحي؛ فقد كان أبناء المغرب الأقصى يتوجهون إلى حاضرة تلمسان للاستزادة والتقوت بمناهل العلوم المختلفة التي كان يقدمها شيوخ وعلماء تلمسان ،فيؤكدّ ذلك ويوضحّه الإمام المقري الجد: " فتفرغت – بحول الله عزّ وجلّ – للقراءة؛ فاستوعبت أهل البلد لقاءً وأخذت عن بعضهم عرضا ولقاءً سواء المقيم القاطن أو الوارد الظاعن"[258]،وممّا ميز حاضرة فاس قديمًا أنّها تألقت في دراسة الفقه المالكي ونبغت فيه؛ لما اهتمت بكلّ ما يتعلق بعلوم الدين بعد تأسيسها لجامع القرويين الذي كان مصدر إلهام وشعاع للعلماء وحتى طلبته؛فشدّت الرحال من المغرب الأقصى نحو حاضرة العلم تلمسان للإكتراع من ينابيعها والاستفادة من خيرة علمائها المتواجدون بها؛ كما أصبحت لديهم ملكات خاصة في التلقين والمباشرة أشد احتكامًا وأعلى رسوخًا؛ فعلى كثرة الشيوخ وزيادتهم تكون حصول الملكات أكثر وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون. [259] وقد عبّر البكري عن ذلك في وصف لمدينة تلمسان بقوله: "ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدّثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله".[260]

---

[257] كمال السيد،**محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته**،مركز الاسكندرية للكتاب،2007،ص35.

[258]المقري،(شهاب الدّين أحمد بن محمد التلمساني)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، مجلد6، د.ط، دار صادر، بيروت، سنة1931، ص28.محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص70-71.

[259] آمنة سليمان البدوي،**الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من ق3هـ-9هـ**،مجلة دراسات،المجلد41،العدد2014،2،ص401.

[260]البكري عبيدالله ،**المسالك والممالك**،تحقيق،جمال طلبة،دار الكتب العلمية،لبنان،2007،ج1،ص215.

وهكذا فإن تلمسان لم تزل، منذ القرن الرابع الهجري، تستقطب العلماء، وتتجه بخطى حثيثة نحو النمو الثقافي والحضاري. وممّا ميّز صلات المغربين الثقافية، ذلك الاتصال الوثيق بين المراكز الثقافية ومدارسها المختلفة الروابط كانت محكمة الاتصال بين مدرسة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط؛ ومدارس سبتة وفاس ومراكش وأغماث المغرب الأقصى، وقد توثقت تلك الصلات عن طريق انتقال أعلام من تلمسان إلى المغرب الأقصى بنية الاستقرار والاستيطان إيمانًا منهم بوحدة المنطقة وألاّ فرق بين الإقامة في هذه المدينة أو تلك؛ كما توثقت تلك الصلات عن طريق استكمال عدد من الطلبة لدراستهم بواسطة رحلات علمية متبادلة بين تلك المراكز والمدارس، وإذا تعذرت الرحلة كانت تحل محلها الإجازات العلمية عن طريق المراسلة بين الأستاذ والطالب. [261]

لقد كانت حاضرة فاس الملجأ الأحسن والمنهل الأمثل لأفضل علماء تلمسان وفقهائها ومتصوفيها، فهذه المصادر التاريخية تطلعنا وتنبئنا بأنّ عددًا من هؤلاء الأعلام دفنوا في حاضرة تلمسان، كما أنّ الحاضرة الأخرى – فاس – هي بدورها الآخر قد رحبت وورث الثرى بمقابرهم، فقد تنافس معظم الشعراء والأدباء في وصف الحاضرتين، وجمال طبيعتها الآسر؛ وهواءها النقي؛ حتى المؤرخين تعذر على تسجيل جلّ الأسماء في جداولهم لكي يحفظوها بعناية. [262] كانت العلاقة الفكرية بين هذين المغربين علاقة تكاملية ترابطية، فنجم منها التأثر والتأثير مصحوبًا بالتطور العلمي ولم تقف تلك الصلات الفكرية عند هذا الحد بل وصل نفوذه وتأثيره إلى الأندلس غربًا وإلى مصر والشام والحجاز شرقًا وقد تخرّج من مدارسها العتيقة الطلبة الذين وفدوا عليها وتعلّموا على مختلف أعلامها الأفذاذ؛ومن بين أبناء مدينة فاس في المغرب الأقصى الذين تلقوا العلم في تلمسان وتثقفوا فيها نذكر: عيسى بن وعبد العزيز عبد الواحد اللمطي وأمّا أبناء تلمسان وعلماؤها " أحمد المساوي (– 896هـ)؛ الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى للتزّود بالعلم فمنهم: أبو عبد الله بن اللحام التلمساني، نشأ

---

[261] داودي مصطفى،**التواصل العلمي بين المغرب الاوسط والاندلس خلال القرنين 3هـ-6**هـ ،مجلة دراسات وأبحاث،المجلد13،العدد1،ص851-860.

[262] بوحسون عبد القادر ،**العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، ماجستير،إشراف لخضر عبدلي،قسم التاريخ وعلم الاثار،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2008،ص37.

وتعلّم بتلمسان ثمّ رحل إلى فاس فأخذ وأعطى بها، ونظرًا لغزارة علمه استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف إلى مراكش للاستقرار فيها؛ وأيضًا محمد بن إبراهيم الغساني (– 633هـ) الذي كانت لديه اهتمامات كثيرة بالتاريخ والأدب والفقه؛ تعلّم في تلمسان ثم رحل إلى المغرب للأخذ عن علمائها فسكن أسفي إلى أن توفي بها "؛وغيرهم من الأعلام الذين استوطنوا أحد المغربين للنهل من منابعها الفتية والعطاء من تلك المحاصيل؛ فهذا أيضًا للمغرب الأدنى كانت هناك صلات ثقافية بين تلمسان والطرف الآخر ؛ نظرًا لقرب المسافة بين الشعبين، ولكون جامع الزيتونة كان قبلة لكثير من علماء تلمسان الذين قصدوه للدراسة والتفقه وكذلك التدريس. [263]

وكان هذا العدد الكبير من العلماء في هذا المركز الثقافي برقعته الواسعة، قد أثرى الحضارة العربية الإسلامية في مختلف مجالاتها هنا في المغرب الأوسط وفي كل أقطار المغرب الإسلامي،[264] وشارك في نهضتها وتطورها ورقيها وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها، علما، ودراية، واستيعابا وإبداعا، وكان يشكل نماذج مما قدمه المغرب الأوسط من مظاهر حضارية، لقد شملت جهودهم الحضارية ميادين كثيرة، في الآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والجغرافية والفنون والصناعات. [265]

3- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأدنى:

كما كانت للمغرب الأدنى صلات ثقافية بين تلمسان والطرف الآخر ؛ نظرًا لقرب المسافة بين الشعبين، ولكون جامع الزيتونة كان قبلة لكثير من علماء تلمسان الذين قصدوه للدراسة والتفقه وكذلك التدريس، كما أنّ تونس – حاضرة المغرب الأدنى – كانت نقطة

---

[263] خالدي رشيد ،**دور علماء المغرب الاوسطفي ازدهار الحكة العلمية في المغرب الاقصى،خلال القرنين7هـ-8هـ/13-15م**،ماجسير ،غشراف لخضر عبدلي،قسم التاريخ وعلم الاثار ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2010-2011،ص31ومابعدها.

[264] داودي مصطفى،المرجع السابق،ص851-860.

[265] نفسه،ص35.

ومحطة عبور إلى المشرق الإسلاميّ لأداء فريضة الحجّ؛ وكذلك التّوجه إلى المغرب والأندلس وخلال العودة يقيم الواحد إليها ويقيم بها من خلال الذهاب والإياب[266].

فقد ظلت تلمسان منارة مشعة ومركزًا أصيلاً للحياة الفكرية في الشمال الإفريقي؛ لذلك كانت المتتابعة لأبناء المغرب الأدنى من شتى أرجائه وبقاعه تفد إلى تلمسان للتزّود من علمائها في شتى أنواع العلوم، وممّن قصد تلمسان من أهل المغرب الأدنى عبد الله بن قاسم المحمودي التونسي المشهور بالفقه والحديث، رحل إلى تلمسان للاستزادة من العلم عن مشاهير شيوخها وأجاز العديد من طلاب العلم بها، ثم عاد إلى تونس فتولى قضاء الأنكحة بها؛ [267]وكذلك العالم أبي القاسم بن أحمد بن محمد القيرواني الشهير فيعتبر من مشاهير فقهاء تونس ومفتيها، وممّن رحل إلى المغرب الأدنى من أهل تلمسان ابن الإمام رحل صغيرًا إلى تونس فتلقى تعليمه عن شيوخها ونبغ في علوم الدين وتفقه على أيد كبار علمائها آنذاك، وممّن رحل أيضًا العالم أبا عبد الله محمد بن يحي الشريف التلمساني؛ اشتهر بالفقه والمنطق انتقل غلى تونس عام 740هـ فأخذ عن بعض شيوخها؛ ثم عاد إلى تلمسان للتدريس بها إلى غاية وفاته، وكذلك محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإمام التلمساني فجلّ هؤلاء أخذوا من البلدين.[268]

من الملاحظ أنّه خلال العهد العبد الوادي (الزياني) كثر عدد المهاجرين، وخاصة بعد استيلاء الاسبان على قواعد وأساسيات البلاد كحواضر طليطلة وقرطبة واشبيلية سرقسطة ومدينة بلنسية.

4- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والأندلس:

تميز الأندلسيون بمجموعة من الصفات في الحياة العلمية فأثروا في الأقاليم الزيانية فورثوا عنهم العلوم الإنسانية؛ ومن الذين أتوا من الأندلس إلى تلمسان نذكر: أبو العيسى بن

---

[266] محمد النيفر ،**عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب**،دار الغرب الاسلامي،ط1996،1،ص261.

[267] بوعياد فضيلة ،**العلاقات الفكرية في المغرب العربي بين القرنين 6-7هـ**،مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية،العدد55،جامعة تلمسان،ص103.

[268] الغبريني ،المصدر السابق،ص116-117.؛مصطفى مغزاوي،محاضرات

عبد الرحمن الخزرجي بن محمد بن أبي العيش الاشبيلي الأصل الذي لعب دورًا هامًا في ازدهار الحركة الثقافية بتلمسان، الذي يقول عنه يحي بن خلدون: " إنّه كان متفننًا ذو علم، وخط بارع، خطيب الجامع الأعظم بتلمسان .[269]

ومن أهل مرسية الذين توافدوا على أراضي الدولة الزيانية؛ يحي بن علي المرسي، وعلي بن يحي بن سعيد بن مسعود بن سهل الأنصاري الذي كان فقيهًا أديبًا حسن الخط؛ ويورد لنا يحي ابن خلدون في كتابه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد عددًا من الفقهاء الأندلسيين الذين توافدوا على تلمسان وحظوا بمكانة رفيعة في البلاط الزياني ومنهم: أبو بكر محمد عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي الذي كان من أبرع الكتّاب خطًا وأدبًا؛ ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه؛ كتب عن ملوك غرناطة؛ وقفل إلى مرسية وقد اختلت أمورها؛ فارتحل إلى تلمسان، ولما ظهر اهتمام السلطان يغمراسن بن زيان بالعلوم قرّبه منه، وكذلك الفقيه عبدون بن الحباك الذي تولى القضاء بتلمسان، وكان خطيبًا بارعًا وصاحبًا لأمير المسلمين يغمراسن بن زيان، ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس الذي كان شاعرًا موهوبًا أثنى عليه العبدري في رحلته المغربية أثناء زياراته لتلمسان[270]."

ومن بين الذين رحلوا من أبناء تلمسان إلى الأندلس نذكر: بكر بن عبد الله بن موسى التلمساني الذي كان من كبار فقهاء المالكية ولد بتلمسان؛ وانتقل مع أسرته إلى الأندلس وعمره تسعة أعوام، واستقرت أسرته بمالقة مدّة وأكمل بها دراسته؛ والتلمساني عبد الغني، والتلمساني علي بن محمد، وكذلك التلمساني عبد الله بن محمد ولد بتلمسان ونشأ بها وتعلّم بها في أواخر سنة 703هـ ، دخل الأندلس واستقر بغرناطة حيث جلس للتدريس وما لبث أن ذاع صيته، وممّا يدل على شهرة الرجل في عصره أنّه كثير التداول من قبل المؤرخين والمهتمين بالتراجم والسير، فهذا ابن خلدون مثلا يقول عنه >> :كان لا يجارى في البلاغة والشعر.[271]

---

[269] يحي بن خلدون،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تح،عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشروالتوزيع،الجزائر ،ج1،ص54.

[270] بوحسون عبد القادر ،المرجع السابق،ص39ومابعدها.

[271] محمد الطمار ،**الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1983،ص35.

نقل الأندلسيون طريقتهم الخاصة في مجال التعليم، المبنية على تعليم الأطفال القواعد الأساسية لمختلف العلوم، وساهموا في تنظيم حلقات التعليم بالمدارس والمساجد، لاسيما المسجد الجامع بتلمسان الذي أصبح معهدًا للتدريس يضاهي جامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، فلقد كانت بين علماء المغرب الأوسط في العهد الزياني أقرانهم الأندلسيين علاقات طيبة، مبنية على التبادل العلمي من خلال تبادل المصنفات، وإبداء الرأي والمشورة، والاستفسار والفتوى وكان الكثير من علماء الأندلس يستفتون علماء المغرب الأوسط، كلما استصعبوا أمرًا أو مسألة، ومثال ذلك ما كان يفعله عالم الأندلس الشهير أبو سعيد بن لب الغرناطي (– 782هـ)، الذي كان كلما استصعب أمرًا؛ أو استشكلت عليه مسألة، بعث إلى أبو عبد الله الشريف التلمساني ليوضحها له، ويبيّن له ما أشكل عليه وكل ذلك إقرار له بعمله وفضله.[272]

5-التواصل الحضاري بين المغرب الأوسط ومصر:

إن هؤلاء العلماء و غيرهم قد ساهموا فعليا في عملية تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط ومصر من خلال مشاركتهم في النشاط الفكري و العلمي بالبلدين ، و إذا حاولنا حصر مظاهر هذه الروابط فإنه يصعب لكون معنى الثقافة يشمل الكثير من المجالات الدينية والروحية و العلمية و الفنية و المعمارية .[273]

ففيما يخص مناهج التعليم وطرقه ، يلاحظ أن بعض هذه المناهج قد انتقلت من مصر إلى بلاد المغرب الأوسط عبر حركة الطلبة و العلماء ، خاصة و أن القاهرة كانت تشهد حركة تعليمية نشيطة في عصر المماليك ، و الاهتمام و لو نسبيا بتعليم المرأة .كما تم تبادل الإجازات العلمية بين الطلبة والعلماء بالبلدين وكان طلبة العلم ينتقلون بين المراكز الثقافية بالمغرب و المشرق للإكثار من الإجازات في شتى العلوم ويعد "عبد الباسط" أحدهم.[274]

---

[272]بوحسون عبد القادر ،المرجع السابق،ص39ومابعدها.

[273] بناهض عبد الكريم ،**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي،مجلة الذاكر**ة ،مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي،العدد10،2018،ص62.

[274] نفسه ،ص63.

يسعى أدب الرحلة، إلى تعزيز التبادل الثقافي في مجال الأدب والترجمة، عبر توطيد التعاون متعدد الأطراف الذي يشمل البحث والتحليل في مجال التاريخ والأدب والعلوم ا أخرى.

يمكن تلخيص الأهداف الرئيسة التي يتوخى بلوغها في مجال أدب الرحلة في ما يلي:

تيسير الوصول إلى أعمال أدب الرحلة لأنه يمثل مصادر حية عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وخاصة تلك المكتوبة باللغات المستخدمة على نطاق محدود، وتلك الأعمال الأقل حضوراً في الساحة العلمية. وتشجيع المزيد من التنوع في الملتقيات الأدبية ونشر هذه الأعمال الأدبية التاريخية لفائدة الكتابة التاريخية وصورة المجتمعات من خلال رؤية الآخر. إن الرحلات من منطقة إلى أخرى والكتابة عنها يعطينا بالضرورة طبيعة المجتمعات وخصوصياتها وبالتالي نستطيع التفاعل معها .[275]

يعد أدب الرحلة نمط من أنماط التواصل الحضاري متعدد الأطراف أو بالأحرى المجالات، وتظهر من خلاله أشكال التبادل الثقافي والعلمي والاقتصادي وفي إطاره يتحقق التفاعل مع الغير من الأجناس ، ويتم مع هذا الفن استكشاف الدور الاجتماعي والسياسي للكتابة،وتحفيز النقاش حول القضايا ذات الصلة بالحوار بين الثقافات وإيجاد فرص لتبادل الأفكار ونقل المهارات والمعارف، وتبادل الخبرات والموارد بين الشعوب .[276]

6-التواصل مع الحجاز:

ارتبط دخول المذهب المالكي إلى المغرب ارتباطا وثيقا بالمسار الذي اتخذته رحلات علماء المغرب، إذّ أنها كانت في الغالب باتجاه بلاد الحجاز، التي قصدها علماء المغرب لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن هذه الفريضة ساهمت في التواصل بين هؤلاء العلماء بعلماء أهل المدينة، والأخذ عنهم في شتى العلوم عن طريق الجلوس إليهم في المجالس العلمية، فالرحلة إلى الحجاز كان لها الأثر العميق في تأصيل المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، وخير دليل على ذلك قول ابن خلدون:" وأما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب و الأندلس، وإن كان يوجد في

---

[275] سعيد الدين صالح ،المرجع السابق ،ص87.

[276] عواطف يوسف تواب ،المرجع السابق،ص62.

غيرهم، إلا أنهم لمْ يقلدوا غيره، إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، وشيخهم يومئذ و إمامهم مالك بن أنس وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب و الأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم في طريقته"[277]، وبهذا يمكن اعتبار أنه من بين أهم العوامل التي ساهمت في انتشار و ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب هي الرحلة في طلب العلم.

وبناء على ما قاله القاضي عياض: " وأما افريقية وما وراءها من المغرب، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد،وابن أشرس[278]، والبهلول بن راشد[279]، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشو إلى أن جاء ابن سحنون فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى يومنا هذا."

الخاتمة:

كان للرحلات العربية بين المشرق والمغرب في العصر الوسيط دورا بارزا في كتابة تاريخ المنطقة لأنها ببساطة تمثل وثائق هامة في كتابة تاريخ المغرب والأندلس خلال عصره الوسيط ،بالإضافة إلى أنها تكشف لنا عن جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الفترة.

---

[277]ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق ،ج6،ص 80؛ عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،ط1، د ن، د م،1993، ص12.

[278] هو أبو مسعود عبد الرحيم بن أشرس الأنصاري، من أهل تونس، ثقة فاضل،سمع من مالك و ابن القاسم. أنظر: أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي): **طبقات علماء افريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ت، ص 252؛ المالكي(أبو بكر عبد الله بن محمد): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ج1، ص ص 252،253؛ ابن فرحون المالكي(ت 799هـ/ 1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد أحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة،دت، ج2، ص 3.

[279]هو البهلول راشد الحجري الرعيني من أهل القيروان، العلم الزاهد العابد، المولود سنة 128هـ/746م، سمع من مالك والليث وأخرون،توفي سنة 183هـ/800م. أنظر: المالكي: **رياض**، المصدر السابق، ج 1، ص ص200،201.

هذه الأهمية التي تكتسيها الرحلات دفعت المستشرقين من أمثال برنشفيك (Brunschvig) الاهتمام بها وبمراحلها وتواريخها وأحداثها،واعتبروها وثيقة حية عن تاريخ منطقة المغرب والأندلس وعكفوا على تحقيقها وإخراجها بالنظر إلى ما تحتويه من معلومات قيمة عن العادات والتقاليد كما تفصح عن مكونات المجتمع الاجتماعية والثقافية والدينية والعلمية للمجتمعات التي زاروها ومنها المغرب الأوسط،كما يساهم التواصل العلمي في تدوين العديد من المسائل الثقافية و الجلسات العلمية والمناقشات التي كانت تتم بين العلماء والفقهاء،كما سجل لنا التاريخ العديد من القضايا الطريفة والنادرة التي تعكس خصوصيات المنطقة المغاربية.

ويمكن أن نخرج بالملاحظات التالية من خلال هذه الدراسة:

-القيمة العلمية للرحلات العلمية بين أقطار بلاد المغارب خاصة الإلتقاء بالعلماء والفقهاء.

-الكشف عن مظاهر الحياة الفكرية ومظاهرها المختلفة .

-الصراعات السياسية ودورها في بناء جسور التواصل العلمي والفكري بين دول المغرب الإسلامي.

-اهتمام السلطات العليا في هذه البلدان في الدعوة إلى طلب العلم ورعاية العلماء والفقهاء.

-تشييد العديد من المراكز العلمية كالمدارس والمعاهد والمكتبات.

-تنوع مجالات العلوم سواء النقلية أو العقلية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا-المصادر:

1- ابن خلدون،**تاريخ ابن خلدون،المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربرومنعاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،تح،خليل شحاذة، مراجعة سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت،2000،ج.4،ص236.

2- ابن مريم التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ، مراجعة : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908م .

3- ابن منظور،**لسان العرب**،اعداد يوسف خياط،دار لسان العرب،بيروت لبنان ،(د.ت)،مج.1.

4- الشماخي أبو العباس أحمد،**كتاب السير**،تحقيق محمد حسن ،شركة أوربيس للطباعة،تونس،1995،ص155-159.

5-ابن أبي زرع،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،دار المنصورة للطباعة والوراقة،الرباط،1972.

6-ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين** ،تحقيق و تعليق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1986

7-ابن القنفذ القسنطيني،**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**،تحقيق،محمد الشاذلي النيفر،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للنشر،تونس،1968.

8-ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق ابراهيم ألبياري ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة ، ج1.

9-ابن فرحون : **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة و تحقيق مأمون بن يحي الدين الحنان ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ج2 ، 1996.

10-ابن قنفذ،**الوفيات**،تحقيق،عادل نويهض،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1983،ط4.

11-أبو ا أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : **رياض النفوس** ، تحقيق بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،19883،ج2.

12-العباس أحمد بن يحي الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب** ، اشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،1981،ج8.

13-ابو العباس أحمد ابن أبي اصبيعة:**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق نزار رضا ،دار مكتبة الحياة ، بيروت، ج2.

14-أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق و تعليق عادل نويهض ، دار ألفاق الجديدة ، بيروت.

15-أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي): **طبقات علماء افريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ت. المالكي(أبو بكر عبد الله بن محمد): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ج1.

16-أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت 538هـ) ، **أساس البلاغة** ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1419 _ 1998 ، ج1 .

17-أبو بكر علي الصنهاجي البيذق :**أخبار المهدي بن تومرت** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط،1971.

18-أبو زكريا يحي،**سير الأئمة وأخبارهم**،تح،اسماعيل العربي،دار الغرب الإسلامي،ط.2،بيروت،لبنان،1982.

19-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : **البستان في ذكر الأولياء و العلماء من تلمسان** ، مراجعة محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908.

20-أحمد بابا التمبكتي: **نيل الابتهاج في تطريز الديباج**، دار الكتب العلمية، بيروت.

21-البكري عبيدالله ،**المسالك والممالك**،تحقيق،جمال طلبة،دار الكتب العلمية،لبنان،2007،ج1.

22-الدرجيني،أبي العباس أحمد بن سعيد،**طبقات المشايخ بالمغرب**،تحقيق،إبراهيم طلاي،قسنطينة،الجزائر،1974،ج.1.

23-الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني ، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس** ، تحقيق : علي بن المنتصر الكتاني ، مطبعة النجاح الجديدة ، المغرب ، ط1 ، 1422_ 2002 .

24-الشماخي،أحمد أبي العباس،**كتاب السير،تراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس**،تحقيق،محمد حسن،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس،سلسلة4،تونس 1995.

25-الفيروز أبادي : **القاموس المحيط** ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة،2008.

26-القاضي عياض، **تراجم أغلبية(مستخرجة من مدارك القاضي عياض)**، تح محمد الطالبي، الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968م.

27-المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، خليل عمران المنصور،منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،بيروت،1998،ط.1.

28-المقديسي شمس الدين،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**،ط.1،بيروت،دار الكتب العلمية،2003.

29-الوسياني،أبي الربيع سليمان،**السير**،دراسة وتحقيق،عمر لقمان بوعصبانة،وزارة الثقافة،سلطنة عمان،مسقط،ط.2009،1،ج.1.

30-جلال الدين السيوطي : **نظم العقيان في أعيان الأعيان** ، تحرير فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت ،1927.

31-شهاب الدين أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت،1988،مج7.

32-عماد الدين الأصبهاني: **خريدة القصر و جريدة العصر**، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، الدار التونسية للنشر، ط3 ،1986.

33-محمد بن سحنون ،**آداب المتعلمين** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس،1972.

34-محمد بن عبد الرحمن السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، مكتبة القدسي القاهرة ، ج7.

35-محمد بن علي الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، ج2 .

36-محمد بن مرزوق التلمساني (ت781هـ) ، **المناقب المرزوقية** ، تحقيق : سلوى الزاهري ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء المملكة المغربية ، ط1، 1429/ 2008، .

37-محمد بن مرزوق التلمساني : **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن موالنا أبي الحسن** ، دراسة وتحقيق ماريا خيسو سبيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1981.

38-يحي ابن خلدون : **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد** ، الجزائر ، 2003 ، ج1

39-التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، محمد بن عبد الله موفم للنشر الجزائر ،2011

40-يحي بن خلدون،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تح،عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشروالتوزيع،الجزائر،ج1.

ثانيا-المراجع:

1- بوبة مجاني ،**الإسماعليون في بلاد المغرب العربي الفكر والمؤسسات والعمران** ،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر ،ط.1،2014.

2- حسن ابراهيم حسن،**عبيد الله إمام الشيعة الاسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب**،مكتبة النهضة المصرية،مصر ،ط.1977م.

3- فاطمة بلهواري ،**الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**،دار المسك للطباعة والنشر ،الجزائر ،د.ت،د.ط.

4- كمال السيد،**محاضرات في تاريخ الغرب الاسلامي وحضارته**،مركز الاسكندرية للكتاب،2007.

5- مالك بن نبي،**مشكلةالحضارة**،ترجمة،عبد الصبور شاهين،دار العروبة،القاهرة،ط.1.

6- محمد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية ،2010.
7- محمود اسماعيل عبدالرزاق،**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة ،ط2،الدار البيضاء ،المغرب،1985م.
8- محمود اسماعيل،**الأدارسة في المغرب الأقصى**،ط.1،مكتبة الفلاح،الكويت،1989.
9- محمود اسماعيل،**دولة الأدارسة حقائق جديدة**،مكتبة مدبولي،القاهرة،مصر ،ط.1991،1م.
10-موسى لقبال ،**ملحمة أبي عبدالله الإيكجاني،مذهبية وتوحيد**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1990م.
11- وهبة مجدي،**معجم مصطلحات الأدب** ،مكتبة لبنان،بيروت(د.ت).
12-أبو القاسم الحفناوي ، **تعريف الخلف برجال السلف** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج2 ، ط2، 1985.
13- أبو القاسم سعدالله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1986.
14-إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
15-اسماعيل عبد الرزاق،**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرنالرابع الهجري**،مطبعة النجاح الجديدة،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط.1985،2.
16-الباروني،سليمان بن عبدالله،**الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع،ط،1،تونس،1986،القسم الثاني.
17-الحسن أسكان : **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط** ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ،الرباط،2004.
18-ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقيّ(من الفتح العربيّ حتى اليوم)**، تر عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب **الإسلاميّ**، لبنان، 1987.
19-بحاز إبراهيم بكير،**الدولة الرستمية ، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**،المطبعة العربية بغرداية،الجزائر،ط.1993،2.
20-برنشفيك روبار،**تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،من القرن 13مإلى15م**،تح،حمادي الساحلي،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1980،ج1.
21-بشير رمضان التليسي،**الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م**،دار المدار الإسلامي،بيروت،2000.
22-بن الذيب عيسى،**الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث،الجزائر،2007.

23-رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط2 .
24-رابح بونار ،**المغرب العربي تاريخه وثقافته**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط.2،الجزائر ،1981.
25-رشيد بورويبة : **الجزائر في التاريخ _العهد الإسلامي** _المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1984،ج3.
26-رشيد بورويبة : **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1977.
27-سامية مصطفى مسعد،**العلاقات بين المغرب والاندلس في عصر الخلافة الاموية**،ط1،عين للدراسات والبحوث الانسانية،2000.
28-سعيد الدين صالح، **التواصل الحضاري والحفاظ على الذاتية**،دار الصحوة للنشر والتوزيع،2005.
29-شوقي ضيف : **عصر الدول و الإمارات** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1..
30-صالح بن قربة : **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007.
31-عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980.
32-عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد** ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1991،2.
33-عبد العزيز المجدوب،**الصراع المذهبي بافريقية إلى قيام الدولة الزيرية**،ط1،دار سحنون،تونس،2008.
34-عبد العزيز بن صالح الخليفي، **الإختلاف الفقهي في المذهب المالكيّ(مصطلحاته وأسبابه)**، ط1، (د.ط)، 1993م.
35-عبد العزيز فيلالي : **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم للنشر ، الجزائر،2007 ، ج2.
36-عبد العزيز فيلالي،**تلمسان في العهد الزياني، دراسة عمرانية سياسية،اجتماعية، ثقافية**،ج2،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية،الجزائر،2000.
37-عبد الكريم جودت يوسف، **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
38-عبد الله عبد الدائم ،**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين** ، دار العلم للماليين ، بيروت ، ط1970،1.
39-عبد المجيد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، ط1، مطبعة دار الغرب، تونس،1986م.
40-عثمان الكعاك:**موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي**، مراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، (بدون تاريخ).

41-عدنان حقي،**الصوفية والتصوف**،ط.2،(ب.د)،دمشق،1992.
42-علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
43-عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب،ط1، د ن، د م،1993.
44-عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الهلال العربية، الرباط، 1993.
45-عواطف يوسف تواب ، **الرحالات المغربية والأندلسية**، الرياض،1996.
46-كمال مصطفى : **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوى المعيار للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.
47-محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، دار الفكر العربي القاهرة.
48-محمد الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف** ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1906 ،ص115.
49-محمد الصالح مرمول،**السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب**،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،1984.
50-محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.
51-محمد الطمار،**الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983.
52-محمد العروسي المطوي،**السلطنة الحفصية،تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي**،دار الغرب الاسلامي،لبنان،1986.
53-محمد النيفر ،**عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب**،دار الغرب الاسلامي،ط1996،1.
54-محمد بن زين العابدين بن رستم ، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس** ، دار ابن حزم ، لبنان ،ط1 ، 2009 .
55-محمد زينهم محمد عزب، **قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب**، د.ط، دار العالم العربيّ، مصر، 2012م.
56-محمد عيسى الحريري،**الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي،حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس**،دار القلم للنشر والتوزيع،ط.1987،3.
57-محمود بوعياد : **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط القرن التاسع هجري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.
58-نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي** ، تبر الزمان، تونس، 2004.

59-نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكيّ بالغرب الإسلاميّ(إلى منتصف القرن الخامس الهجريّ- الحادي عشر الميلادي)**، تبر الزمان، تونس، 2004م.
60-يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط3 ، 2009.

3-المجلات:

1-ابراهيم حركات، **دور بجاية في الحضارة**، **مجلة الأصالة،وزارة الشؤون الدينية والاوقاف،الجزائر**،1974،العدد19.
2-إسماعيل العربي،**العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد**،**مجلة الأصالة،وزارة الشؤون الدينية والاوقاف،الجزائر**،1974،العدد19.
3-آمنة سليمان البدوي،**الرحالة الاندلسيون والمغاربة ورحلاتهم من ق3هـ-9هـ**،مجلة دراسات،المجلد41،العدد2014،2.
4- بناهض عبد الكريم ،**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي**،**مجلة الذاكر**ة ،مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي،العدد2018،10.
5- بوعزيز يحي،**الاوضاع السياسية والثقافية في عصر أحمد بن قنفذ القسنطيني**،مجلة سيرتا،معهد العلوم الاجتماعية،العدد11،جامعة منتوري،قسنطينة،1998.
6- بوكرديمي نعيمة،**البيوتات العلمية في قسنطينة خلال العهد الحفصي وإسهامها الثقافي**،مجلة عصور جديدة،العدد18،جامعة وهران،2015.
7- داودي مصطفى،**التواصل العلمي بين المغرب الاوسط والاندلس خلال القرنين 3هـ-6**هـ،مجلة دراسات وأبحاث،المجلد13،العدد1.
8-رشيد بورو يبة، **""جولة عبر مساجد تلمسان**"مجلة الأصالة ، العدد26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان،2011.
9-الطاهر بونابي: **الدولة المركزية بقلعة بني حماد التأسيس والتداعيات**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2006م.
10-عبد الحميد حاجيات : **" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان** " ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011.
11-عبد الحميد حاجيات،**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**، مجلة الحضارة الإسلامية،عدد خاص،وهران،1993.
12-عبد العزيز فيلالي: **قلعة بني حماد الحاضرة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط القرن 5هـ/11م**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2006م.

13- فيلالي عبد العزيز ،**أبرز علماء قسنطينة وأثرهم في بلاد المغرب والمشرق خلال العهد الحفصي،ق7هـ-10هـ**،مجلة جامعة قسنطينة،علوم إنسانية،العدد1،دار نوميديا ،قسنطينة،1990.

14- فيلالي عبد العزيز ،**ابن قنفذ مؤرخا لأسرته وبلدته**،مجلة سيرتا،معهد العلوم الاجتماعية،العدد11،قسنطينة،1998.

15- قشي فاطمة الزهراء ،**معالم قسنطينة وأعلامها**،مجلة إنسانيات،مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية،العدد20،وهران،2003.

16-لطفي ميلاد ،**التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ،مجلة العلوم الإنسانية** ،الكراسات التونسية،مجلد12.

17-محمد بن عميرة: **القلعة قلعة بني حماد الثقافية الأولى**، حولية المؤرخ، ع1، يصدره إتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002م.

18-محمد عبد الحليم بيشي،**الاعتزال في الغرب الإسلامي**،مجلة البحوث،ع.9،ج.1،جامعة الجزائر.

19-محمد غزالي،**المعتزلة وآراؤهم الفكرية والعقدية في بلاد المغرب من منتصف القرن 2هـ إلى القرن4هـ**،مجلة عصور،العدد2016،21.

20-محمد محمدي :"**المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي**"، حوليات التراث، العدد2013،13.

21-محمد محمدي :"**المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي**"، حوليات التراث،العدد 13،.

22-المهدي البوعبدلي : " **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض اقلامها** " مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011.

4-الرسائل والأطروحات:

1-بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني(633هـ-962هـ)**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين،2006.

2- بكوش فاقة ،**أبو عبدالله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الاسلامي**،ماجستير،إشراف جيلالي بلوفة، قسم التاريخ وعلم الاثار،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2012.

3- بن عمر علال،**الحركة العلمية وبيوتات العلماء في مدينة قسنطينة من ق7هـ-10هـ/10-16م**،رسالة ماجستير،إشراف عبد العزيز فيلالي،كلية الآداب والعلوم الانسانية،قسم التاريخ،قسنطينة،2011.

4-بوحسون عبد القادر ،**العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط و الاندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، ماجسير ،إشراف لخضر عبدلي،قسم التاريخ وعلم الاثار ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،2008.

5- خالدي رشيد ،**دور علماء المغرب الاوسطفي ازدهار الحكة العلمية في المغرب الاقصى،خلال القرنين7هـ-8هـ/13-15م**،ماجسير ،غشراف لخضر عبدلي،قسم التاريخ وعلم الاثار ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،2010-2011. .

6-طاهر بونابي ، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين** ، أطروحة دكتوراه دولة العلوم في التاريخ الإسلامي ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2 ، 2009 .

7-عبد الكريم عزوق : **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نوحيها** ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ،2007-2008.

8-لزغم فوزية، **البيوتات والاسر العلمية بالجزائرخلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي**،رسالة دكتوراه،إشراف محمد بن معمر ،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية،جامعة وهران،2014.

9-محمد بوشقيف : **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2011.

المحتويات

الصفحة

	مقدمة	4
	محتوى المادة (المحاور).	
المحاضرة01	**الإرهاصات الأولية لمظاهر الحركة الفكرية في المغرب الأوسط.**	5
	1- التطور السياسي للمغرب الأوسط. أ-التحديد الجغرافي. ب-الإطار السياسي. 2-مظاهر بوادر الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط أ-تعريف الثقافة: *-لغة. *-اصطلاحا.	
المحاضرة02	**عوامل نمو الحركة الفكرية والتعليمية في المغرب الأوسط**	8
	تمهيد 1-الظروف العامة لازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط 2-عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الرستمي	

	3- عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الحمادي 4- عوامل نمو الحركة الفكرية في العهد الزياني

المحاضرة03	**الحواضر والمراكز العلمية في المغرب الأوسط:**	18
	تمهيد: 1- حواضر الرستميين 2- حواضر الحماديين 3 - حاضرة تلمسان 4-حواضر أخرى	

المحاضرة04	**التيارات الفكرية والمذهبية في بلاد المغرب الأوسط.**	24
	تمهيد: 1-المذهب المالكي بالمغرب الأوسط. 2-الخوارج . 3-الشيعة. 4-تيار المعتزلة.	

المحاضرة05	**المؤسسات التعليمية ببلاد المغرب الأوسط:**	34
	أولاً: المراكز التعليمية في تيهرت الرستمية: 1-المساجد. 2-الكتاتيب.	

	3-المكتبات. ثانيا: المؤسسات التعليمية في العهد الحمادي: 1-المساجد. 2-الكتاتيب. 3-المعاهد. 4-المكتبات. 5-الزوايا. ثالثا: المراكز التعليمية في العهد الزياني: 1-المساجد. 2-الكتاتيب. 3-الزوايا. 4-المكتبات. 5-المدارس.

المحاضرة06	**العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الأوسط:**	50
	أولا: العلوم والعلماء في تيهرت الرستمية: 1-العلوم الدينية: 2-العلوم الاجتماعية والعقلية. 3-علم الطب والصيدلة . ثانيا: العلوم والعلماء في العهد الحمادي: 1-العلوم النقلية.	

	2-العلوم العقلية. 3-العلوم الاجتماعية. ثالثا: العلوم والعلماء في العهد الزياني: 1-العلوم الدينية. 2-العلوم الاجتماعية والعقلية 3-علم الطب والصيدلة.

المحاضرة07	**البيوتات العلمية في المغرب الأوسط:**	74
	تمهيد: 1 .البيوتات العلمية في حاضرة قسنطينة: 2 . البيوتات العلمية في حاضرة بجاية: 3 . البيوتات العلمية في تلمسان الزيانية:	

المحاضرة 08	**التواصل العلمي والحضاري داخليا وخارجيا:**	91
	تمهيد: 1-عوامل التواصل العلمي بين المغرب الأوسط داخليا وخارجيا. 2- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.	

	3- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأدنى. 4- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط والأندلس. 5- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط ومصر. 6- التواصل بين حواضر المغرب الأوسط الحجاز.	
	خاتمة	92
	المصادر والمراجع	